

البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي الباطني

أ.د. ناصر بن عبدالله القفاري



البراءة من المشركين
بين المعنى الشرعي
والتأويل الشيعي

البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

تصميم الغلاف: مركز التأصيل

الحجم: ١٧ × ٢٤ سم

التجليد: غلاف

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار جسر التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٠١٢ ٩٦٦ + ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٠١٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.com

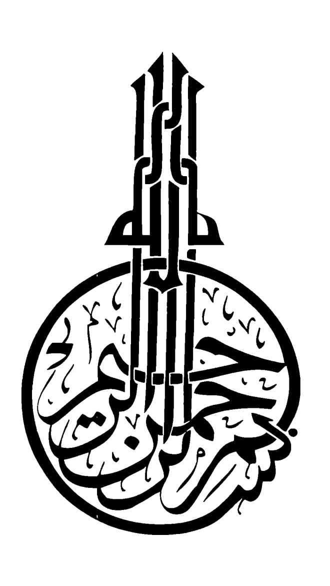
بريد إلكتروني: info@taseel.com

رأي المؤلف لا يعبر بالضرورة عن رأي المركز

البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

مركز التأصيل للدراسات والبحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن البراءة من المشركين وموالاة المؤمنين أصلان من أصول الدين، كما دل على ذلك الكتاب المبين وسنة الرسول الأمين، واتفاق سلف الأمة وأئمتها أجمعين، ولهذا قال بعض أهل العلم: «إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم (يعني حكم الولاء والبراء) بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[(١)].

وعدَّهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تحقيقًا لشهادة أن لا إله إلا الله أصل الإسلام وأساسه فقال رحمه الله: «تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحب الله ويبغض ما أبغضه الله»[(٢)].

---

(١) الشيخ حمد بن عتيق: النجاة والفكاك ص ١٤.

(٢) الاحتجاج بالقدر ص ٥٤.

ولذا قال بعض الأئمة المحققين: «إن الإنسان لا يستقيم له الإسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين كما قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢ »[1]

قال ابن حزم: «صح أن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١ على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[2]، فهو على ظاهره، يعني أن من تولاهم في جميع أمورهم التولي الكامل فهو منهم، ومن تولاهم في بعض أمورهم التي لا توصل إلى الكفر فله بقدر ما تولاهم به[3].

وقال ابن عطية: «من تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا إخلال لإيمان فهو منهم في المقت والمذمة»[4].

فعلى قدر إيمان العبد تتحقق براءته من الكافرين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر الله في هذه الآية أن متوليهم هو منهم، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ المائدة: ٨١، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده...»[5].

---

(١) مجموعة التوحيد ص ١٩.

(٢) المحلى ١٣/ ٣٥، تحقيق حسن زيدان، مكتبة الجمهورية ـ القاهرة.

(٣) من تقرير للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين، أحد كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٧، وانظر: التحرير والتنوير ٦/ ٢٢٨.

(٥) الإيمان ص ١٤

وقال العلامة الشيخ الشنقيطي: «ويفهم من ظواهر الآيات (يعني الآية السابقة، وآية آل عمران ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٢٨، ونحوها) أن من تولى الكفار عمدًا اختيارًا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»[(١)].

ولذلك صار من نواقض الإسلام العشرة المشهورة «مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ المائدة: ٥١»[(٢)]

ومسألة الموالاة والمعاداة تحدَّث عنها أهل التفسير وأهل الحديث والمصنفون في العقائد وألف في شأنها مصنفات.

وليس من غرضنا في هذه الرسالة الحديث عنها.. لأمور:

الأول: أن الدراسات في هذا الشأن قد استوت على سوقها وليس ثمة داع لتكرار ما جاء فيها.

الثاني: أن الحاجة مُلحة إلى الاختصار ولا سيما في عصرنا الذي ثقل على الناس فيه قراءة المطولات ومالوا إلى المختصرات.

الثالث: ضرورة التركيز على مسألة البراءة عند الروافض، وهو الأمر المجهول فيه الغالب بين عموم المسلمين.

أما الداعي لوضع هذه الرسالة وكتابة هذه السطور فهو ما يجري في واقعنا اليوم من كثرة حديث الروافض عن مسألة البراءة من المشركين، حتى أصبحت هذه القضية لسان آياتهم، وصار أمر إعلانها في موسم الحج، وفي

---

(١) أضواء البيان ٢/ ١١١.

(٢) الدرر السنية ٨/ ٩٠١.

البقاع الطاهرة، وعبر مسيرات حجاج الرافضة قطب اهتمامهم، فلا تخلو سنة في الفترة الأخيرة ـ منذ قيام دولتهم ـ من دعوة إلى ما يسمى بالبراءة أو القيام بتظاهرات البراءة، بل ترتب على منعهم من تحقيقها منعهم لأتباعهم من السفر لأداء الحج الركن الخامس من أركان الإسلام في عدة أعوام.

كما كثر تردد هذا المصطلح في وسائل الإعلام المختلفة حتى دخل كل بيت، وكثير من الناس لا يعلمون معنى «البراءة من المشركين وموالاة المؤمنين» في قاموس الرافضة، وما يتضمنه من مبادئ، وما يترتب على إعلانه والمطالبة به من آثار، لأن مصطلح «الولاء والبراء» من المصطلحات الشرعية ومن الأصول الإيمانية، فلا يخطر ببال الكثير من المسلمين المفاهيم الباطنية والأبعاد الخطيرة التي تكمن خلفه عندهم.

ولذلك (أعني لخفاء مقاصد الشيعة الرافضة وأهدافهم من وراء هذه الدعوة) قيل في الرد عليهم: لا حاجة إلى إعلان البراءة، لأن مكة اليوم ليس فيها وثن يعبد ولا مشهد يقصد، ولا يوجد فيها للشرك مظهر ولا مخبر.

قلت: وهذا أمر في غاية الوضوح، فإن البراءة لم تعلن في الحج سوى مرة واحدة في السنة التاسعة فلم يفعلها رسول الله ﷺ في حجته في السنة العاشرة ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي، وتبعهم خلفاء المسلمين من بعدهم.

وتم إعلانها في الحج في السنة التاسعة لغاية بيِّنة ومعلنة وتم تحقيقها وهي منع المشركين من الحج[١].

لكن الروافض لا يريدون البراءة من المشركين وفق المعنى الشرعي وبمقتضى النهج النبوي، إنهم يريدون غير ذلك تمامًا، وكثير من الناس في

---

(١) انظر الملحق.

غفلة ما يريدون وفي جهل ممن يتبرءون؟ ولا يعرفون حقيقة الشرك الذي يقصدون؟ وأهدافهم من وراء ذلك.

فكان لا بد من كشف الحقائق المجهولة، والأسرار الخفية لمبدأ البراءة من المشركين عند الروافض، وذلك من خلال النقل الأمين من أصولهم المقدسة عندهم، وبمقتضى أقوال آياتهم المعتمدين لديهم، نصيحة لأمة الإسلام وأئمتهم، وكشف لمكر الباطنيين وألاعيبهم، والتي قد لا تخفى على عموم المسلمين فحسب بل على بعض المخدوعين بهم من أتباعهم، فإن جملة من أتباعهم في غفلة عما يراد بهم وفي جهل للقضايا الخطرة في مذهبهم.

ولا أكتب هذه الكلمات تزلفًا إلى فئة أو تقربًا إلى جهة، بل إن الأمر لا يحتمل السكوت ولا يقبل التأجيل، فهو يتعلق بالتلبيس في ركن من أركان الدين وأسس دعوة المرسلين، ومما يؤكد الحاجة لإيضاح حقيقة هذا الشعار وكشف باطن هذا الاعتقاد ما رأيت من خوض كثير من الكُتاب والمعلقين في هذه المسألة بجهل لحقيقتها وقصور عن معرفة أهدافها، وأعظم من ذلك إصرار الروافض على إعلان البراءة وقيام مسيرة البراءة، في أفضل زمن (الأيام العشر) وفي أطهر بقعة (حرم الله وبيته الطاهر) وفي بلد التوحيد وبين جماهير الموحدين، وبلا نكير عام من عموم المسلمين، وذلك لجهل عموم الأمة بحقائق هذا الشعار وخفاياه.

وإلا فلا أعتقد أن مسلمًا يرضى بأن يعلن على صعيد حرم الله الآمن، وفي المشاعر المقدسة وأيام الحج الفاضلة وبين الحجاج والمعتمرين.. يعلن الشرك والكفر والظلم والفسوق والعصيان، بل يعلن ذلك تحت شعار اسم شرعي عظيم، إن هذا لمنتهى الجرأة من أهل الباطل في إعلان باطلهم، واستغفال المسلمين عن حقيقة أمرهم، والهزأ بأصول التوحيد ومبادئه.

مع أنهم في الحقيقة يريدون معنى يناقض تمامًا الشعار الذي أعلنوه،

وهدفًا غير الذي أظهروه، ويرمون إلى غاية يستنكرها كل مسلم ثم يأتي الرد على إعلان البراءة، ومن بعض الجهات الإسلامية بالقول: إن مكة لا يوجد فيها مشرك وليس فيها صنم يعبد فلا حاجة إلى إعلان البراءة من المشركين فيها..، إن هذه الإجابة وأمثالها تجعل الروافض يرقصون طربًا فتقيتهم أدَّت دورها، وكأن لسان حال هذا المجيب يقرر أن الروافض غرضهم هو حقيقة البراءة من المشركين بمعناها الشرعي، وما دامت مكة خالية من الشرك ومظاهره فلا حاجة إذن لإعلان البراءة.

أَوَ ما علم أن الشرك غير مستنكر في دين الروافض، بل هو من أصول دينهم[١]، بل هم أول من أحدث عبادة المشاهد في أمة محمد ﷺ[٢]، وأول من أَلَّف ما يُسمى: مناسك المشاهد[٣]..، وأشد ما يقلقهم في أرض الحرمين اختفاء مظاهر الوثنية في مشاعرها[٤].

أو ما علم أن مسألة البراءة في مفهوم آيات قُمٍّ وعموم الروافض لها معنى باطني لا يدرك أخطاره الكثير، وكذا ما يترتب على أمر البراءة من أحكام لدى هؤلاء، فلا يتصور الكثير مدى الخطر المحيط والشر المستطير الذي تخفيه هذه الدعوة.

هل يعلم جلَّ الناس أن تحت شعار البراءة المرفوع اليوم من الروافض حكمهم على صفوة خلق الله وأوليائه المتقين بالشرك، فهم عند هؤلاء في

---

(١) انظر: أصول الشيعة ٢/ ١ وما بعدها.

(٢) انظر: الرد على الأخنائي ص٤٧.

(٣) وقد بلغت مصنفاتهم في المزار ومناسكه ستين مؤلفًا، كما ذكر ذلك شيخهم أغا بزرك الطهراني في الذريعة.. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٠/ ٣١٦ ـ ٣٢٦.

(٤) انظر: ما يقوله آيتهم الخراساني في تمني كل شيعي فتح مكة والمدينة وذلك في كتابه الإسلام على ضوء التشيع، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

عداد المشركين، بينما حثالة البشر وأقزام التاريخ وشذاذ الآفاق من أهل البغي والشرك والعدوان في عداد الموحدين المؤمنين، كما تناول تكفيرهم وشملت براءتهم جميع الحكام الصالحين وعموم عباد الله المؤمنين والقضاة العادلين وأمصار المسلمين وسائر فرق المسلمين من عهد أبي بكر الصديق إلى أن تقوم الساعة.

(إن الناس اليوم لا يدركون ـ في الغالب ـ معاني هذا الشعار وأبعاده وما يترتب عليه من أحكام وآثار عند هؤلاء الباطنية الرافضة)، ولقد لبثت فترة أتأمل التحليلات والتعليقات والدراسات التي نشرت حول هذا الموضوع، فوجدتها في معزل عن إدراك أبعاد الخطر الأكبر الذي يرمي إلى تحقيقه هؤلاء..

ولذلك رأيت أن الواجب قد يتعين لبيان الحقيقة بلا تقليل أو تهويل.

* وقبل أن أختم هذه المقدمة أقول:

يخطئ من يظن أن مسألة البراءة أو شعار البراءة عند الروافض مرتبط بخميني أو غيره وينتهي برحيله، أو متعلق بتيار سياسي يزول باعتداله، أو خاص بالحج فقط، بل هو اعتقاد ثابت ومستمر وأساسي لدى آيات الروافض، وفي المصادر المعتمدة عندهم، وإن كان ربطه بالحج عندهم لم يأتِ إلا على لسان آيات قم في عصرنا، ومع استحداث مبدأ عموم ولاية الفقه وفق العقيدة الخمينية، ولذلك لا تجد في كتب الروافض المعتمدة لديها كلها مسألة البراءة في شعيرة الحج، وإنما بدأ رفع شعار البراءة في الحج مع التطبيق العملي لمبدأ عموم ولاية الفقيه الذي أخرج مهديهم في صورة عشرات المعمَّمين الذي يتولون سلطات الإمام بالكامل في دين الروافض.

ومن الاعتقاد ينبثق السلوك، وإذا اقتضت المصلحة السياسية أو

الاستراتيجية الدعوة والحركة تأجيل العمل بهذا المبدأ أو ذاك فلا يعني ذلك العدول عنه أو التنازل عن الدعوة إليه، فإنه بموجب مبدأ التقية والكتمان يسوغ اتخاذ سلوك أو رفع شعار مخالف للاعتقاد عندهم وذلك إلى حين، بل يصل الأمر أحيانا إلى الدعوة إلى الاندماج الظاهر في صفوف أهل السنة مع المخالفة في الباطن، ولذلك عقد شيخهم الحر العاملي بابًا في هذا الشأن عنوانه: (باب وجوب عشرة العامة ـ أهل السنة ـ بالتقية)[(١)].

واستفاضت نصوصهم قديمها وجديدها في تقرير هذا الشأن[(٢)]، ودفعوا أتباعهم إلى ذلك دفعًا بمختلف الوسائل ترغيبًا وترهيبًا، كقولهم مثلًا في دفع أتباعهم للتسلل إلى مجامع أهل السنة والتظاهر بالاتفاق معهم لخداعهم: «من صلى معهم ـ يعني أهل السنة ـ فكأنما صلى مع رسول الله ﷺ في الصف الأول»[(٣)].

وانظر في مسألة البراءة مبلغ كيدهم وعظيم مكرهم حيث اختاروا لغرضهم الباطني شعارًا يمثل أصلًا من أصول الإسلام وركنًا من أركان الدين وعبادة من أجلِّ الطاعات لرب العالمين، وهذا من أعظم التلبيس في الدين وهي بضاعة أخذوها ـ كالعادة ـ من إخوانهم اليهود الماكرين.

فإن مبدأ التلبيس (لبس الحق بالباطل) هو في الأصل طريقة يهودية ماكرة لإضلال الناس وإفسادهم، وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ البقرة: ٤٢، فنهاهم عما كانوا يعمدونه من تلبيس الحق بالباطل وتمويهه به، وكتمانهم الحق وإظهارهم

---

(١) وسائل الشيعة ١١/ ٤٧٠.

(٢) راجع أصول الشيعة ٢/ ٨٠٥ ـ ٨١٩.

(٣) بحار الأنوار، باب التقية، ح٧٥، ص٤٢١.

الباطل، نهاهم عن الشيئين معًا وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به، ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس: «﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ البقرة: ٤٢ لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب». وقال أبو العالية: «﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ البقرة: ٤٢، يقول: «ولا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد ﷺ..»[(١)].

قال ابن كثير في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ البقرة: ٤٢: «وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لتروجوه عليهم»[(٢)].

ولا يزال يهود يستخدمون هذا الأسلوب في المكر والخداع وترى ذلك مقررًا في بروتوكولاتهم، ومنصوصًا عليه في تلمودهم، وهو شعار منظماتهم التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب كالماسونية بمختلف فصائلها التي ترفع شعارات الإخاء والحرية والمساواة.

وهذا باب واسع، وكل منظمة وطائفة لها منهجها وأسلوبها في ذلك، ولعل من أول من سار في هذا الطريق من المنتسبين لهذه الأمة ابن سبأ اليهودي وطائفته حين رفعوا شعار التشيع لآل البيت ومحبة آل البيت، وشاركهم في ذلك أو تأثر بهم واتبعهم بعض الفرس الموتورين الذين راموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يُظهر الله سبحانه وتعالى الحق، فرأوا أن كيده عن طريق الحيلة أجدى وأنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشناع ظلم علي رضي الله عنه بزعمهم، ثم

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٥٤٠، خرج أحاديثه الوادعي، ونشرته دار الأرقم.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٥.

سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم من الإسلام»[(١)].

وقد شاع أسلوب التلبيس وراج في عصرنا على أوسع نطاق بواسطة الوسيلة الإعلامية المقروءة والمنظورة والمسموعة وفي مختلف المجالات، ففي الجانب العقدي والفكري ـ مثلًا ـ يسمى الخروج عن شريعة الله ودينه: «تحررًا وتقدمًا»، والالتزام بدين الله وشرع: «تشددًا وتزمتًا ورجعية وأصولية على الطريقة النصرانية».

وفي المجال الاقتصادي يسمى الربا الذي هو حرب لله ورسوله: «فوائد»، والميسر والقمار «اليانصيب الخيري».

وفي المجال الاجتماعي يعد خروج المرأة من مملكتها وتخليها عن عملها الأصلي في إعداد الأجيال وتربية النشء وهدمها لمملكتها ومستقبل أمتها يعدونه «تحررًا»، والخمر التي هي أم الخبائث يسمونها: «مشروبات روحية».

وفي نطاق السياسة يعدون الكذب والنفاق والخداع والميكافيلية من الفضائل والبراعة والدهاء وحسن الكياسة والبراعة في السياسة.

وفي نطاق التلبيس عند الروافض يسمون الشرك بالله ـ وهو أعظم ذنب عُصي الله به ـ يسمونه: «توسلًا وتضرعًا»، ويسمون تعطيل الله عز وجل من صفاته: «توحيدًا»، ومحبة صحابة رسول الله ﷺ والترضي عنهم: «نصبًا وبغضًا لآل البيت»، والغلو في بعض آل البيت وجفاء أو تكفير آخرين منهم مع إخوانهم مع الصحابة يسمونه: «تشيعًا»، والكذب والخداع والنفاق يسمونه: «تقيَّة»، وكل أكاذيبهم ومفترياتهم وضلالاتهم يسندونها لبعض آل البيت.

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٢/١٠٨ ـ ١٠٩.

وأنواع التلبيس وصنوف المكر عندهم كثيرة، حتى قال عنهم العارف بمذهبهم والخبير بهم الإمام الدهلوي: إن لهم وسائل كثيرة لا تدري اليهود بعشرها.

ومن آخر تلبيسهم وخفي كيدهم وبالغ مكرهم إعلانهم هذا المصطلح الشرعي (البراءة من المشركين)، لتحقيق غايات عديدة بين أتباعهم وبين عموم المسلمين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ الأنفال: ٣٠.

خطة البحث

سلكت في بيان هذا المبدأ الخطة التالية:

الفصل الأول: المعنى الشرعي لمصطلح البراءة من المشركين، وذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول: المعنى الشرعي للبراءة والتبري.

المبحث الثاني: المعنى الشرعي للشرك والمشركين.

الفصل الثاني: المعنى الباطني الشيعي للبراءة من المشركين، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: المعنى الباطني للبراءة عند الشيعة وأهميته عندهم.

المبحث الثاني: المعنى الباطني للشرك والمشركين في اعتقادهم.

الفصل الثالث: أنواع البراءة ومراتبها عندهم، وجاء في مباحث:

المبحث الأول: براءة المخالفة.

المبحث الثاني: البراءة الصامتة.

المبحث الثالث: البراءة الناطقة.

المبحث الرابع: البراءة القاتلة (براءة الاعتداء والعدوان).

الفصل الرابع: ممن يتبرؤون؟ وجاء في مباحث:

المبحث الأول: براءتهم من الصحابة.

المبحث الثاني: براءتهم من آل البيت.

المبحث الثالث: براءتهم من خلفاء المسلمين وحكامهم وحكوماتهم.

المبحث الرابع: براءتهم من قضاة المسلمين وأحكامهم.

المبحث الخامس: البراءة من الأمة كلها.

المبحث السادس: براءتهم من الفرق الإسلامية كلها.

المبحث السابع: براءتهم من أمصار المسلمين، وحكمهم بأنها دار كفر.

المبحث الثامن: البراءة من أموات المسلمين.

الفصل الخامس: من يوالون؟

١ ـ موالاة المرتدين.

٢ ـ موالاة المجوس المتآمرين.

٣ ـ موالاة الكذابين المفترين.

٤ ـ موالاة الملاحدة المسئولين عن المذابح الكبرى للمسلمين.

٥ ـ موالاة سائر أعداء المسلمين.

الفصل السادس: أسباب براءتهم وموالاتهم.

الفصل السابع: من الأحق بالتبري؟ وأين تعلن البراءة؟ وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: من الأحق بالبراءة؟

المبحث الثاني: أين تعلن البراءة؟

الفصل الثامن: الخبيئة العجيبة في كشف السر الخطير لجذور البراءة.

ملحق لفتاوى وآراء بعض علماء ومفكري العصر.

الفهارس.

منهج البحث

التزمت المنهج العلمي الموضوعي الذي من أبجدياته الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث والدراسة دون المصادر الناقلة.

ولذلك فقد توجهت إلى الكتاب الشيعي[١] المعتمد على نص الإمام أستنطقه وأكتب ما يقول بكل أمانة، واستمعت إلى شيوخهم وسجلت ما يقولون بكل دقة وموضوعية، حسب جهدي وطاقتي.

رجعت إلى مصادرهم الثمانية المعتمدة في الحديث[٢] عندهم وهي الكتب الأربعة المتقدمة: (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه)، و«الشيعة.. مجمعة على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلة بصحة كل ما فيها من روايات»[٣]، والكتب الأربعة المتأخرة: (الوافي، وبحار الأنوار، ووسائل الشيعة، ومستدرك الوسائل)، قال شيخهم المعاصر محمد صالح الحائري: «وأما صحاح الإمامية فهي ثمانية. أربعة منها للمحمدين الثلاثة الأوائل، وثلاثة بعدها للمحمدين الثلاثة الأواخر، وثامنها لمحمد حسين المرحوم المعاصر النوري»[٤].

---

(١) المقصود هنا بالشيعة -الشيعة الرافضة ـ التي تستقي دينها من المصادر الثمانية.. إلخ؛ لأن الفرق المؤسسة للشيعة في عصرنا هم ثلاثة فرق: الشيعة الزيدية، وهؤلاء أقرب فرق الشيعة لأهل السنة، وهم ليسوا بروافض، باستثناء طائفة منهم سلكت مسلك الرافضة وهم الجارودية أسلاف الخرمية، والطائفة الثانية: الإسماعيلية، وهم طائفة باطنية محضة، والثالثة: هي ما يسمى بالشيعة الجعفرية.

(٢) انظر: دراسة وصفية نقدية لها في أصول الشيعة ١/ ٣٥٣ وما بعدها.

(٣) محمد صادق الصدر (من شيوخ الشيعة المعاصرين) في كتابه: الشيعة، ص١٢٧.

(٤) منهاج علمي للتقريب (مقال للرافضي محمد الحائري ضمن كتاب الوحدة: الوحدة الإسلامية ص٢٣٣).

وأكثر ما رجعت إليه منها: أصول الكافي، وبحار الأنوار، لأن جُلَّ موضوعاتهما واهتمامهما في أمور الاعتقاد، كما أن غالب المصادر الباقية في مسائل الأحكام، وكذا رجعت إلى كتب شيوخهم المعتمدين عندهم التي جعلوها في الاعتبار كسائر الكتب الأربعة، كما فصَّله المجلسي في أول بحاره(١)، وذلك مثل كتب ابن بابويه القمي، والطوسي، والمفيد.

وكذا كتب الرجال الأربعة المعتمدة عندهم، وفي مقدمتها: رجال الكشي، لأنهم يعدونه أهم كتبهم في الرجال وأقدمها وأوثقها(٢).

وكذلك كتبهم المعتبرة عندهم في التفسير، وعلى رأسها تفسير القمي، إذا يعدونه أجلَّ أصول التفاسير كلها(٣)، ويوثق جميع رواياته شيخ مشايخهم في هذا العصر وآيتهم الخوئي(٤).

كما اهتممت بالرجوع إلى كتب العقيدة المعتمدة لدى الطائفة، وفي مقدمتها: اعتقادات ابن بابويه الذي يسمونه دين الإمامية.

وبالجملة لم أعمد إلا إلى كتبهم المعتمدة عندهم في النقل والاقتباس لبيان اعتقادهم في البراءة، ولم أذكر إلا ما استفاضت به أخبارهم وأقرَّه شيوخهم.

وعمدت إلى النقل الحرفي لنصوصهم رعاية للموضوعية وضرورة الدقة في النقل، وهو ما يفرضه المنهج العلمي المتعارف عليه في نقل كلام الخصوم، أما الكتابات السابقة في هذا الموضوع فإنني لم أجد ـ حسب اطلاعي ـ دراسة خاصة بهذه المسألة.

---

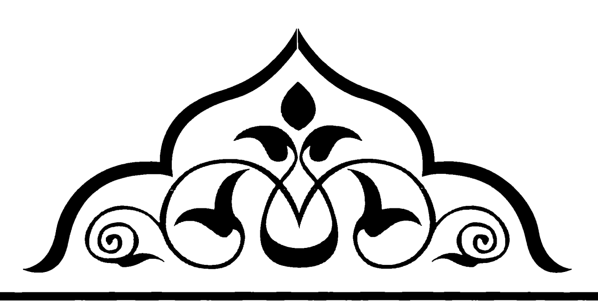
(١) ص٢٩ وما بعدها.

(٢) انظر: مقدمة المصطفوي لرجال الكشي.

(٣) مقدمة تفسير القمي، ص١٠.

(٤) انظر: معجم رجال الحديث للخوئي ١/ ٦٣.

والله سبحانه أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القصد، والصدق في القول، والإنصاف في الحكم والعدل في الأمر كله، والتوفيق والتأييد والتسديد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



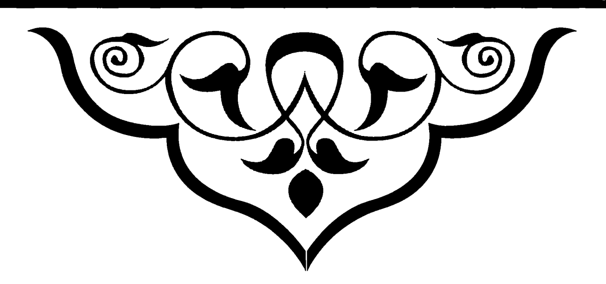
الفصل الأول

البراءة من المشركين وفق المعنى الشرعي

وهو يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المعنى الشرعي للبراءة

المبحث الثاني: المعنى الشرعي للشرك والمشركين



(١) لم أشأ التوسع في هذا الفصل فقد صدر في بيانه وتحقيقه مصنفات.
انظر رسالة (أوثق عرى الإيمان)، ورسالة (حكم موالاة أهل الإشراك)، و(حكم السفر إلى بلاد الشرك الحربية والإقامة فيها للمتاجرة)، وكلها للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.
وانظر: (الولاء والبراء في الإسلام) لمحمد سعيد القحطاني، و(الموالاة والمعاداة) للجلعود.

المبحث الأول:

المعنى الشرعي للبراءة

- **المعنى اللغوي للبراءة:**

تقول: برئت من الشيء أبرأُ براءة فأنا منه بريء، إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه[(١)]، وبارأه: فارقه[(٢)].

قال الأزهري: «وأما قولهم: برئت من الدين والرجل أبرأُ براءة، وبرئت إليك من فلان إبراءً، براءة فليس فيها غير هذه اللغة»[(٣)].

قال ابن الأعرابي[(٤)]: برئ: إذا تخلص.

وبرئ: إذا تنزه وتباعد.

وبرئ: إذا أعذر وأنذر.

ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ التوبة: ١.

فالمعاني اللغوية للبراءة تعني المقاطعة والمزايلة والمفارقة والتخلص والتباعد مع الإعذار والإنذار.

فالبراءة من المشركين مفارقتهم ومقاطعتهم والبعد عنهم والتخلص منهم ومن شركهم ومعبوداتهم وبلادهم.

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٦٣.

(٢) القاموس ١/ ٨ (برأ).

(٣) لسان العرب ١/ ٣١ ـ ٣٢ (برأ).

(٤) لسان العرب ١/ ٣٢ ـ ٣٣ (برأ).

والبراءة وفق المعنى الشرعي لا تختلف عن المعنى اللغوي إلا ببيان تفصيل الأحكام الشرعية للبراءة وأحوالها ومقتضياتها وأنواعها.

- **المعنى الاصطلاحي للبراءة:**

البراءة: قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: البراءة مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله[(١)]، وقال العلامة ابن عثيمين: البراءة أن يتبرأ الإنسان من كل ما تبرأ الله منه من شخص أو عمل[(٢)]، وقال القحطاني: البراءة بالمعنى الاصطلاحي هي البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار[(٣)].

فالبراءة وفق المعنى الشرعي تعني البراءة مما برئ الله منه ورسوله من الشرك والكفر والفسوق والعصيان وأهلها.

وصور البراءة متعددة: براءة باللسان، وبراءة بالقلب، وبراءة بالجوارح (كما سيأتي)، ومظاهر التبرؤ متعددة: المزايلة والمفارقة والمخالفة والهجر والبغض والعداوة والجهاد وغير ذلك من معاني البراءة المرتبطة مشروعيتها بالأحوال والمقتضيات الشرعية.

وضد البراءة والتبري: القرب والاجتماع والولاء والحب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد...»[(٤)].

- **البراءة في القرآن:**

وردت البراءة بتصاريفها المختلفة في مواضع متعددة من كتاب الله تعالى:

---

(١) مقدمة كتاب (الولاء والبراء) للقحطاني، ص٧.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/ ١١.

(٣) الولاء والبراء، ص ٩٠.

(٤) الفرقان لابن تيمية، ص ٧.

فورد لفظ (براءة) في القرآن في موضع واحد وهو قوله سبحانه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾ التوبة: ١، وقد بوب البخاري بهذه الآية[١]، (أي هذه براءة أي تبرؤٌ من الله ورسوله)[٢].

وورد لفظ «تبرَّأ» في موضعين، في قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ البقرة: ١٦٦، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ التوبة: ١١٤.

ولفظ: بريء ورد تسع مرات في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾ الأنعام: ١٩.

ولفظ (براء) ورد في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦﴾ الزخرف: ٢٦.

ولفظ (بُرءآء) في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الممتحنة: ٤، ولعله يكفي أن نبين ما قاله بعض أئمة التفسير في معناها ليُعرف به معنى ما سواها من أمثالها.

قال الإمام ابن جرير الطبري حول هذه الآية: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الممتحنة: ٤: «أي أيها القوم إنا برآء منكم ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن يكون حقًا، وظهر ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ الممتحنة: ٤، على كفركم بالله وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الممتحنة: ٤،أي تصدقوا بالله

---

(١) انظر: البخاري (مع الفتح) ٨/ ٣١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣١.

وحده، فتوحدوه وتفردوه بالعبادة»(١).

وقال الإمام ابن كثير: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ الممتحنة: ٤ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ الممتحنة: ٤، أي: بدينكم وطريقتكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ الممتحنة: ٤، يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الممتحنة: ٤، أي: أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد»(٢).

- **البراءة من المشركين في دعوة الأنبياء:**

وقد جعل الله سبحانه هذه «البراءة» من كل معبود سوى الله هي الأصل الباقي الذي يدعو إليه كل نبي، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨.

وأمر الله عز وجل نبيه أن يقولها لقومه: ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾ الأنعام: ١٩.

وخرج البخاري عن أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان».

وقال سبحانه لنبيه: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ يونس: ٤١.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ

(١) تفسير ابن جرير ٢٨/ ٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٨٤.

أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ الكافرون: ١ ـ ٦.

والآيات في هذا المعنى كثيرة ولذلك قال العلامة حمد بن عتيق ـ كما مر ـ : «إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[1].

- **البراءة ركن كلمة الإسلام:**

البراءة بمعناها الشامل هي أحد أركان لا إله إلا الله، كملة التوحيد وأصل الدين وأول واجب على المكلف، وأول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله، فإن هذه الكلمة تقوم على ركنين:

الركن الأول: النفي: وهو في «لا إله» أي: نفي جميع ما يعبد من دون الله، أي الكفر بكل معبود سوى الله والبراءة منه ومن أهله.

والركن الثاني: الإثبات: وهو في قوله «إلا الله» أي إثبات العبودية لله وحده لا شريك له، أي الإيمان بأن الله سبحانه هو المألوه المعبود وحده لا شريك له، والقيام بمقتضى ذلك علمًا وعملًا.

وهذان الركنان العظيمان قد تضمنهما قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧، أما النفي فقد تضمنه قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧، وأما الإثبات ففي قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧.

وهذا يدل على أن التوحيد لا بد فيه من أمرين هما:

١ ـ البراءة مما سوى الله وهو معنى (لا إله).

---

(١) (النجاة والفكاك) ص١٤.

٢ ـ وإخلاص العبادة لله وحده وهو معنى (إلا الله).

إذن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧، هو معنى لا إله إلا الله بنص القرآن، وهو حقيقة البراءة من المشركين وإخلاص العبادة لرب العالمين، وهو فرض على كُلِّ مكلف، لا يرتبط بموسم ولا يختص بموضع، ويُدعى إليه المشركون ويُؤمَر بتحقيقه عموم المسلمين، وأبعد الناس عن الدعوة إليه وعن تحقيقه هم الروافض المشركون.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧: «إن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله»[(١)].

قال أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨، أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، أي: جَعَلَها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨، أي إليها، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨ يعني لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها[(٢)].

فتبين من خلال النصوص الشرعية أن البراءة هي ركن عظيم من أركان كلمة التوحيد.. فلا يجوز بأي حال لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة في ذلك، فلا يجرك مبتدع إلى ردة فعل غير متوازنة حيال هذا المعنى الإيماني

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص١٤٤، وراجع باب تفسير التوحيد وشهادة «لا إله إلا الله».

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٦.

العظيم فتنكره أو تتردد فيه، ولا تتوقف في هذا الأصل؛ لأن أهل البدع دعوا إليه، ذلك أنه لو كانت دعوتهم إليه بالمعنى الحق مكانًا وزمانًا ومعنًى وطريقةً، لما توقفنا في قبوله فإن الحق يُقبل ممن جاء به، لكنهم أرادوا به معنى باطنيًا لا يعرفه كثير من الناس، ولذا دعوا أتباعهم فقط لإعلانه، وخصوه بمكة حرم الله وهي اليوم بلاد التوحيد، ولم يعلنوه في مشاهدهم ومزاراتهم وهي اليوم موطن للشرك والوثنية، وحدوده بوقت من الأوقات وهو موسم الحج، وعدوه من أصول الحج ومن لم يأت به فلا حج له، وعطلوا حج أتباعهم بسببه.

واستعمال أهل البدع لمثل هذه الألفاظ والمصطلحات الشرعية في غير معناها الشرعي طريقة مشتهرة بينهم[(١)]، وللشيعة الرافضة في ذلك النصيب الأوفر والقدح المعلى.

- **أنواع البراءة:**

البراءة نوعان:

الأول: براءة من عمل.

الثاني: براءة من عامل.

فأما البراءة من العمل: فتجب من كل عمل محرم سواء كان كفرًا أم دونهن، فيبرأ المؤمن من الشرك والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، بحيث لا يرضاه ولا يقره ولا يعمل به.

وأما البراءة من العامل: فإن كان عمله كفرًا وجبت البراءة منه بكل حال من كل وجه، لعموم آيات البراءة، وإن كان عمله دون الكفر وجبت البراءة

---

(١) فقد سمى الجهمية المعطلة تجريد الله من كماله ونفي صفاته سموه توحيداً، وسمت المعتزلة نفي القدر عدلًا، وسموا سلب الإيمان من الفاسق الملي وسطيَّةً ومنزلة بين المنزلتين... إلخ.

منه من وجه دون وجه، فيوالى بما معه من الإيمان والعمل الصالح، ويتبرأ منه بما معه من المعاصي، فإنه يمكن اجتماع إيمان وكفر ـ غير مُخرج عن الملة ـ في الشخص الواحد، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الحجرات: ٩. فأثبت الله تعالى لهم وصف الإيمان مع أنهم يتقاتلون، وقتال المسلم كفر كما في الحديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[(١)] [(٢)]. لكنه كفر لا يخرج عن الملة كما دلت عليه الآية.

مجالاتها أو صورها:

والبراءة تكون بثلاثة أشياء:

١ ـ بالقلب

٢ ـ باللسان

٣ ـ بالجوارح.

أما براءة القلب فتعني عمل القلب ضد الكفر والفسوق والعصيان، وذلك بكراهة الكفر وأهله، وإنكار الكفر والإنكار على أهله...

وحكمها: فرض لازم لا يسقط بحال؛ لأن علم القلب خفي.

وأما براءة اللسان فتعني الإنكار باللسان والتصريح ببطلان الأوضاع

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١٠/١٠٣، وفي الأدب، باب ما يُنهى من السباب واللعن ١٠/ ٢٨٧، وفي الفتن باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ١٣/ ٢٢، ومسلم في الإيمان باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (ح٦٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٤)، والنسائي في تحريم الدم، باب قتال المسلم ٧/ ١٢١، وابن ماجه في الفتن، باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (ح٣٩٣٩)، وأحمد في المسند ١/ ١٧٦، ١٧٨، ٢٨٥، ٢١١...

(٢) ابن عثيمين: (تقريب التدمرية) ص٢٤٥ (ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٤).

الكفرية وضلال أهلها، وإعلان عداوتهم وبغضهم حتى يؤمنوا بالله وحده وحكمها واجب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ⑥﴾ الكافرون: ١ ـ ٦، وقول إبراهيم: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾، ولا تَسقُط إلا حال العجز وعدم الاستطاعة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ النحل: ١٠٦، وقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ﴾ آل عمران: ٢٨، وأما براءة الجوارح: فتتحقق بالجهاد وقتال الكفار لإعلاء كلمة الله، وهو مرتبط بالقدرة، وأدلة ذلك آيات الجهاد.

- البراءة لا تعني الظلم والاعتداء:

البراءة في مفهومها الشرعي لا تعني الظلم والاعتداء، فإن الظلم حرام مطلقًا والعدل واجب في كل الأحوال، بل يذهب أهل الإسلام إلى أعلى من ذلك وأعظم في صورة سامقة ومرتبة عالية في موقفهم من المخالفين ليس لها مثيل، إنه موقف المشفق والمتسامح والعادل.

يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ الممتحنة: ٨، أي تُفضوا إليهم بالبر وهو الإحسان، والقسط وهو العدل[(١)]، أو هو أعلى من العدل وهو: أن تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة وليس مجرد العدل، فإن العدل واجب ممن قاتل وممن لم يقاتل[(٢)]، فلا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ١٦/ ١٢٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ٤/ ١٧٨٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٩.

أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم[(١)]، فإن الله عز وجل عم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ الممتحنة: ٨، جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض[(٢)]، «فلا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا رحمة لهم لشدتهم في العداوة»[(٣)].

بل إن مبادئ الإسلام توجب الدفاع عن أهل الذمة إذا قصدهم معتدي، لأنهم في جوارنا وخفارتنا، وقد حكى ابن حزم في مراتب الإجماع على أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح[(٤)]..

ويوضح القرافي بجلاء الفرق بين الموالاة وبين المودة والتودد الممنوع وبين البر والإحسان والعدل المشروع فيقول:

---

(١) فهذا القدر من الموالاة غير منهي عنه، بل مأمور به في حقهم والخطاب في الآية وإن يكن في مشركي مكة إلا أن العبرة بعموم لفظه، وقد حاول بعض المفسرين تخصيصه فرد ذلك الإمام ابن جرير بقوله: (والصواب قول من قال: «عنى جميع أصناف الملل والأديان»).
انظر: محاسن التأويل ١٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩، تفسير الطبري ٢٨/ ٦٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ٦٦، محاسن التأويل للقاسمي ١٦/ ١٢٩. قال ابن جرير الطبري: (ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، وقد بين صحة ما قلناه الخبر في قصة أسماء وأمها). تفسير الطبري ٢٨/ ٦٦. وذلك أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قَالت: «قَدِمت أُمي وهي مشركة في عهد قريش إِذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أُمي قَدِمت وهي راغبة، أَفأَصِلَها؟ قال: (نعم صِلي أُمك) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين (ح ١٢٧٢)، ومسلم كتاب الزكاة (ح٤٩، ٥٠)، وأحمد ٦/ ٣٤٤.

(٣) الرازي: التفسير ٢٩/ ٣٠٤، محاسن التأويل ١٦/ ١٢٠.

(٤) انظر: الفروق للقرافي ٣/ ١٤.

«واعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ الممتحنة: ١، فمنع الموالاة والتودد، وقال في الآية الأخرى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ٨، فلا بد من الجمع بين هذه النصوص[١]، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما.. وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم، لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وذمة الله ـ تعالى وذمة رسوله ـ ﷺ ـ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله ـ تعالى ـ وذمة رسوله ـ ﷺ ـ وذمة دين الإسلام.

وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صونًا لمن هو في ذمة الله ـ تعالى ـ وذمة رسوله ـ ﷺ ـ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة، وحكى على ذلك إجماع الأمة، فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونًا لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم، وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبيل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل، فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلينا

---

(١) لو قال: لا بد من بيان معنى الآيتين لأنه لا تعارض بينهما.

لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله ـ تعالى ـ وشعائر دينه، واحتقار أهله، ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من هي عليه أو ظهور لعلو وسلطان المطالبة فذلك كله ممنوع.. وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادمًا ولا أجيرًا يُؤمر عليه ويُنهى.

أما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنة: كالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سليل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالتهم لطفًا منًا بهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم.. وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأقل أن يفعله.. فإن ذلك من مكارم الأخلاق، فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل، لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بُغضنا، وتكذيب نبينا ﷺ وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا ـ عز وجل ـ ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالًا لأمر ربنا..»[١].

---

(١) انظر: الفروق للقرافي ٣/ ١٤ ـ ١٥.

المبحث الثاني:

المعنى الشرعي للشرك والمشركين

وردت مادة الشرك بتصاريفها المختلفة في مواضع كثيرة[1] من كتاب الله عز وجل.. وفي مواضع متعددة من سنة رسول الله ﷺ، ومعنى الشرك واضح جلي تعرفه العرب من لغتها، ولذلك جاء النهي عنه بألفاظه الصريحة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ الرعد: ٣٦، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ الجن: ٢٠، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ الحج: ٢٦، ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ النساء: ٣٦، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأنعام: ١٩، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ النساء: ٤٨، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ النساء: ١١٦، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ المائدة: ٧٢، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ النساء: ٤٨.

وأمثال ذلك كثير، فقد ورد النهي عن اتخاذ أنداد مع الله ـ بهذا اللفظ فقط ـ في ستة مواضع من القرآن، أول موضع منها في أول سورة البقرة في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ البقرة: ٢٢، وبقية المواضع في سورة البقرة أيضًا، وإبراهيم، وسبأ، والزُّمُر، وفصلت.

وجاءت السنة المطهرة ببيان معنى الشرك وذكر جمل من مفرداته وأنواع من وقائعه وصوره[2].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (شرك).

(٢) انظر مادة الشرك والمشركين وما يرادفهما في معاجم السنة.

فقد جاء بيان حقيقة الشرك ومعناه في قول المصطفى ﷺ حينما سُئل أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك»[١].

ولذلك قال ابن القيم في تعريف الشرك: «هو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ الشعراء: ٩٨[٢].

وقال العلامة ابن سعدي: «الشرك: أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة»[٣].

ومما ورد في ذلك أيضًا ما جاء في الحديث القدسي: «من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[٤].

وحديث: «.. ولا تشركوا بالله شيئًا..»[٥].

وحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله عز وجل أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[٦].

وحديث: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح) ١٠/ ٤٣٣، (ح٦٠٠١).

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣.

(٣) القول السديد ص ٢.

(٤) رواه مسلم في الزهد ص٤٦، وابن ماجه في الزهد ص ٢١، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠١، ٤٢٥.

(٥) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (ح ٣١٤٤)، ٥/ ٣٠٥.

(٦) رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢١٥.

(٧) رواه مسلم، كتاب الإيمان ١٥٠ ـ ١٥٣، والبخاري، كتاب العلم ص ٤٩.

وحديث: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله»[١].

وأمثال ذلك كثير.

ولا حاجة إلى التكلف في تحليل وبيان معنى الشرك فإن معناه يتجلى في لفظه فهو تشريك غير الله مع الله فيما يختص به الله من أفعاله وأسمائه وصفاته وحقوقه، فالشرك ضد التوحيد، والمشرك خلاف الموحد..

فالتوحيد إفراد الله سبحانه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والشرك ضد ذلك، فهو أن يشرك معه سبحانه سواه في ذلك، إما فيما يختص به جل شأنه من ربوبيته المقتضية للإيمان بأنه وحده المالك الخالق المدبر، فمن اعتقد أن مع الله خالقًا أو مالكًا أو مدبرًا فقد أشرك معه غيره في ربوبيته.

أو ما يختص به جل شأنه من ألوهيته المتضمنة بأنه المعبود وحده دون سواه، فمن عبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فقد أشرك معه غيره، سواء كانت العبادة قولية أو عملية، أي سواء كانت من أعمال القلوب وأقوالها أو من أقوال اللسان أو أعمال الجوارح.

أو ما يختص به جل شأنه من أسمائه وصفاته، فمن أشرك معه غيره مما يختص به من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وذلك بتشبيه المخلوق بالخالق في كيفية أسمائه وصفاته، فقد أشرك في توحيد الأسماء والصفات، فجامع الشرك هو مساواة غير الله بالله مما هو من خصائص الله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[٢] كما قال تعالى عن حال المشركين حين معاينتهم لعقوبة

---

(١) رواه ابن ماجة في الزهد ٢١.

(٢) وليس المراد المساواة الكاملة فإنه لم يقل أحد بخالِقَين متماثلين. أنظر الفتاوى ٣/ ٩٦، وشرح الطحاوية ص١٩، ولم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، وإنما المقصود أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده. انظر الاستقامة لابن تيمية ١/ ٣٣٤.

شركهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الشعراء: ٩٧ - ٩٨، فهو «تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الألوهية من مُلك الضر والنفع والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق»[1]، وكذا في خصائص الربوبية والأسماء والصفات و«مضمونه تنقيص رب العالمين وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنعام: ١، فهو «مناقض للمقصود بالخلق والأمر، مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته والذل والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالَم إلا بذلك، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»[2] [3].

ولذلك كان أول دعوة الرسل وجوهرها وغايتها الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به سبحانه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

والشرك نوعان: أكبر، وأصغر.

فالأكبر يُخرج من الملة ويُبطل الأعمال كلها، ولا يغفره الله إلا بالتوبة ويُخلَّد صاحبه في النار إذا مات عليه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١١٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان ١٤٨، ٢٣٤، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص١١٠.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ المائدة: ٧٢.

وحقيقته ـ كما مر ـ: اتخاذ العبد من دون الله ندًّا يسويه برب العالمين، يحبه كحب الله، ويخشاه كخشية الله، ويلتجئ له ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك[1].

وهذا هو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين[2].

وهذا الشرك أنواع كثيرة منها:

شرك الدعوة إي الدعاء، كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ العنكبوت: ٦٥.

ومنها شرك النية والإرادة والقصد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ هود: ١٥.

ومنها شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ التوبة: ٣١.

ومنها شرك المحبة، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ

(١) أعلام السنة المنشورة، ص٥١، وانظر: مدارج السالكين ١/ ٣٣.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣.

﴿يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ البقرة: ١٦٥ [(١)].

والشرك الأصغر هو ما ورد تسميته في النصوص شركًا ولم يبلغ درجة الشرك الأكبر، أو ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك، وهو من أكبر الكبائر، لكنه لا يخرج عن الملة ولا يخلد صاحبه في النار، بل يدخل في موازنة الحسنات والسيئات، فقد يُمحى عن صاحبه برجحان الحسنات، وقد يُعاقب به بعض العقوبات، وهذا النوع من الشرك لا يحبط العمل كله، وإنما يُحِب العمل الذي قارنه، بخلاف الشرك الأكبر الذي يحبط العمل كله كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ الأنعام: ٨٨.

فالشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد، والشرك الأصغر ينافي كماله.

وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، قال الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[(٢)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «ألا أُنبئكم مما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»[(٣)].

---

(١) ينظر: مجموعة التوحيد الرسالة الأولى ص ٦ ـ ٧.

(٢) أخرجه أحمد واللفظ له ٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، والطبراني في الكبير (ح٤٣٠١)، وصححه الألباني في الصحيحة ٩٥١، وصحيح الجامع ١٥٥١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٣٠، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ١٧، وصحيح الجامع ٢٦٠٤، ورواه ابن ماجه في الزهد (ح٤٢٠٤)، وحسنه البوصيري في الزوائد.

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا أمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»[(١)].

وقال ﷺ: «ولا تقولوا: والكعبة، ولكن قولوا: ورب الكعبة»[(٢)].

وقال ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[(٣)].

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». وفي رواية: «وأشرك»[(٤)].

وقال ﷺ ـ للرجل الذي قال له: ما شاء الله وشئت ـ : «أجعلتني لله ندا! بل ما شاء الله وحده»[(٥)].

وقال ﷺ: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[(٦)].

وهذه الأنواع من الشرك الأكبر والأصغر كلها مما يضاد توحيد الألوهية؛ يضاد أصله أو كماله.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات ٧/ ٥، وصححه الألباني في الصحيحة ٢١٢٦.

(٢) أخرجه النسائي في الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة ٧/ ٦ (ح٣٧٧٣)، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧١، ٣٧٢، والحاكم في المستدرك في الأيمان والنذور ٤/ ٢٩٧.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً ابن حجر في الإصابة ٤/ ٣٨٩.

(٣) رواه أبو داود في الأيمان ٣/ ٢٢٣، وصححه الألباني في الصحيحة (ح٩٤).

(٤) رواه أبو داود في الأيمان ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤، والترمذي في الأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله ٤/ ١١٠ (ح١٥٣٥)، وقال: حديث حسن، ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٧، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب قول الرجل: ما شاء الله وشئت ٢٦٥ (ح٧٨٤)، وابن ماجه (ح٢١٣)، وأحمد في المسند ١/ ٢١٤، وصححه الألباني في الصحيحة (ح١٣٩).

(٦) رواه أبو داود (ح٤٩٨٠)، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٤، وصححه الألباني في الصحيحة (ح١٣٧).

أما شرك الربوبية فهو اعتقاد مالك؛ مع الله، كما تقول الروافض بأن الدنيا والآخرة للأمام[1]، والله يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ النجم: ٢٥ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المائدة: ١٢٠.

أو اعتقاد خالق مع الله كاعتقاد الثانوية والمانوية في الظُلمة، والفلاسفة في الأفلاك ونحوهما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فاطر: ٣.

أو اعتقاد مدبر ومتصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير ودفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب وكالعظمة والكبرياء ونحو ذلك.

قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤.

وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ يونس: ١٠٧.

والشرك في الألوهية هو صرف شيء من العبادة لغير الله كالذبح والنذر والاستغاثة والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة.

وأما شرك الأسماء والصفات: فهو اعتقاد أن لله مماثلًا مما يختص به من أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى: ١١ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ مريم: ٦٥، أي نظير يستحق مثل اسمه[2].

---

(١) جاء في كتابهم «الكافي»: (أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء...).

أصول الكافي ١١/ ٤٠٩، وانظر: أصول مذهب الشيعة ٢/ ٥١٢.

(٢) التدمرية: ص٨. وانظر: لسان العرب (سما).

وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلًا أو شبيهًا[(١)] ؟ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ٤.

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه»[(٢)].

ذلك لأنه يكذب بنصوص القرآن والسنة، فيكفُر المشبه والمعطل بعد قيام الحجة عليه، قال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفات لا يسع أحد جهلها، فمن جهلها بعد قيام الحجة فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فيُعذر بالجهل»[(٣)].

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم»[(٤)].

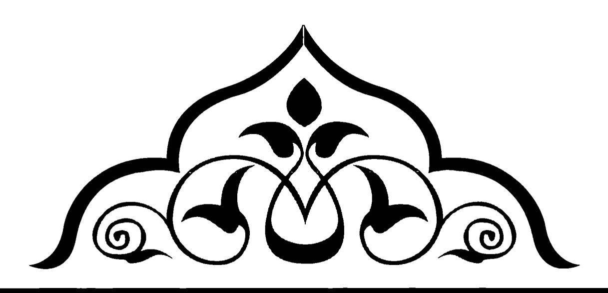
***

(١) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ص ٦٦.

(٣) ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٧٠٢.

(٤) شرح الطحاوية ص ٦٦ ـ ٦٧.



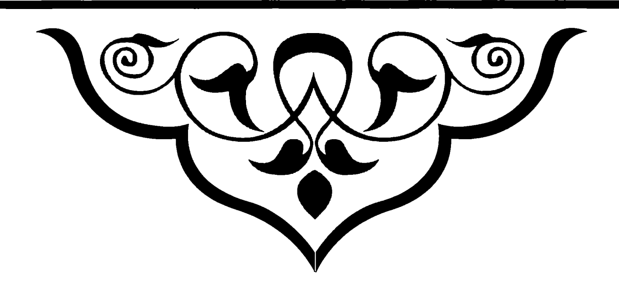
الفصل الثاني

مفهوم البراءة والشرك والمشركين عند الشيعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المعنى الباطني أو الخفي للبراءة والتبري وأهميته عندهم.

المبحث الثاني: المعنى الباطني أو الخفي للشرك والمشركين.



المبحث الأول:

المعنى الباطني للبراءة
(أو ماذا يريد الشيعة بالبراءة) وأهميتها عندهم

مسألة البراءة من المبادئ الأساسية في كيان الرافضة العقدي، وأصل من الأصول المهمة في بنية المذهب الاثني عشري، وتحظى باهتمام كبير في نصوصهم واعتقادهم، حتى عدوها من ضرورات المذهب التي لا يُستغنى عنها مطلقًا، وهي فيما يبدو خطة مدبرة من قبل مؤسسي المذهب لعزل الشيعة عن المسلمين، استمع إلى شيخهم المجلسي[1] المتوفى سنة (١١١١هـ) الذي يعده بعضهم مؤسس مذهب الشيعة بوضعه الحاضر[2] وهو يبين أهميتها ويشرح حقيقتها حيث يقول في رسالته «الاعتقادات»[3]:

«ومما عدّ من ضروريات دين الإمامية[4].. البراءة من أبي بكر وعمر

---

(١) محمد باقر بن محمد المجلسي هو عندهم شيخ الإسلام والمسلمين، خاتم المجتهدين.. ولهم في تعظيمه وتقديسه غلوٌّ كثير. انظر من كتبهم: جامع الرواة للأردبيلي ٢/ ٧٨، أمل الآمل للحر العاملي ٦٠، لؤلؤة البحرين للبحراني ٤٤ (لتدرك من خلال ذلك أن الرجل عمدة في دينهم فإذا أخبر عنه فهو الخبير به).

(٢) وهو الإمام الدهلوي، صاحب التحفة الاثني عشرية.

(٣) انظر في التعريف بها وقدرها عندهم: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لشيخهم أغابزرك الطهراني ٢/ ٢٢٤ _ ٢٢٥

(٤) انظر: كيف يستخدم كلمة «دين» ليشير إلى أن ما عليه الإمامية دين مستقل بذاته فهو دين الإمامية كما يسميه، وليتهم يقتصرون على هذا الاسم اليوم إذن لأراحوا واستراحوا ولم يفتنوا المسملين ويلبسوا عليهم دينهم.

وعثمان ومعاوية»[(١)]، فهي من ضروريات دينهم، وهي براءة من أفضل الخلق بعد النبيين، وسائر خلفاء المسلمين بعدهم من باب أولى إلى أن تقوم الساعة، ولا يستثنون سوى علي والحسن.

وفي العصور المتأخرة وفي ظل مفهوم ولاية الفقيه يستثنون أيضًا من ينوب عن المنتظر من شيوخهم، وذلك عند القائلين منهم بعموم ولاية الفقيه.

وقد تقول: وهل أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية من المشركين؟

أقول: إن للشرك مفهومًا خاصًا ينفرد به هؤلاء لا يشاركهم فيه أحد من المسلمين، وللتوحيد معنى خاص كذلك سيأتي بيانه إن شاء الله في المبحث التالي.

ومسألة البراءة في دينهم تصل إلى مرتبة الضروريات كما ترى، وما كان كذلك في اصطلاحهم ومقياسهم يخرج مُنكرها من الدين أصلًا، ولذا قرر المجلسي حين ذكر هذه المسألة بأن مُنكر الضروري خارج عن دينهم «ملحق فاعله بالمخالفين ويُخرجه عن التدين بدين الإمامية»[(٢)].

ويؤكد شيخهم المعاصر وأحد آياتهم المعدودين محسن الأمين في كتابه كشف الارتياب «أن منكر الضروري عندهم كافر بلا ارتياب»[(٣)].

وقبل المجلسي تجد شيخهم الصدوق في كتابه الاعتقادات (والمسمى عندهم «دين الإمامية» والذي هو عمدة في بيان أصول دينهم، ومن المراجع المعتبرة عند محققيهم كما صرح بذلك المجلسي في بحاره[(٤)]، وقد عده عالمهم المعاصر محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت من

---

(١) الاعتقادات ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) المصدر السابق ص ٩٠.

(٣) كشف الارتياب المقدمة الثانية، وانظر الموسوي السيزواري. مهذب الأحكام ١/ ٣٨٨ ـ ٣٩٣.

(٤) انظر: البحار ح١.

المراجع الأساسية لمعرفة المذهب الشيعي)[١]. يقول: «واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة يغوث ويعوق ونسر وهبل»[٢].

ولعلك تلاحظ الفرق بين تعبير المجلسي وتعبير الصدوق، فالأول يصرح بالأسماء والآخر يستعمل لغة الرمز، ذلك أن الأول يعيش في ظل دولة شيعية (رافضية) ذات سلطة قوية تشاركه وتؤيده في مذهبه وهي الدولة الصفوية فهو شيخها وإمامها، أما الآخر فإنه يكتب كتابه في ظل قوة دولة الإسلام وهيبتها، فيشير إلى مراده بالإشارة التي يعرفها أصحابه، لأنه يخشى من دولة الخلافة، ويتقي غضبة أهل الإسلام.

وهذا له أمثلة كثيرة حيث تجد كثيرا نصوص الروافض الأوائل تتبرقع بالتقية، وتختفي خلف اللغة الباطنية التي هي أساس الخطاب بينهم.

كما اختفوا اليوم وفي ظل دولة التوحيد بمصطلح «البراءة من المشركين» ومرادهم البراءة من الموحدين من حكام ومحكومين ومن عقيدة التوحيد... فالأوثان الواردة في كلام الصدوق التي رمز لها بأسماء أصنام مشهورة هي بعينها أسماء الخلفاء التي ذكرها المجلسي صريحة.

ولعلك أخي القارئ تتأمل نص صدوقهم فترى من خلاله ملامح التقية، وأمارات الخداع، أو قل: لحن القول المتعارف عليه بينهم، فتراه حصر الأوثان بأربعة ليشير من طرف خفي إلى مرامه، وإلا فإن عقيدة المسلم وجوب البراءة من جميع الأوثان بلا حصر، فالأوثان كثيرة والطواغيت لا حصر لها، لكن مرادهم الأساسي البراءة من أفضل الخلق بعد النبيين، ومن دونهم من جموع المسلمين الموحدين من باب أولى ورمزوا لهم بمصطلح «المشركين».

---

(١) انظر: الشيعة في الميزان ص١٤.

(٢) الاعتقادات ص ١١٤.

وقد تختلف الرموز عندهم في التعبير عن براءتهم من هؤلاء الأئمة، ففي نص آخر لهم: «قلت (الرواي يقول لإمامهم): ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة. قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية، ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله»(١).

ثم يأتي المجلسي ليكشف المراد بهذه الرموز، لأنه يعيش في جو ترتفع فيه التقية التي يلوذ بها هؤلاء كلما لاح لهم مطمع أو دنا منهم خوف أو راموا خداعًا لأحد، يقول المجلسي: أبو الفصيل: أبو بكر، لأن الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب: عمر، ونعثل: عثمان(٢).

والمُراجع لمصادرهم المعتمدة يجد المفهوم الباطني للبراءة يتردد عبر العشرات من نصوصهم ويُعطي الأهمية البالغة في قاموسهم العقدي.

جاء أحدهم فقال لإمامه: «أسألك عن الرجلين [يعني صدِّيق هذه الأمة وفاروقها] فقال: ما أُهريق في الإسلام محجمة من دم، ولا اكتُسب مال من غير حله، ولا نُكح فرج حرام إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم القيامة حتى يقوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»(٣).

فمفهوم البراءة هنا جلي واضح فهو يعني البراءة من خلفاء وحكام المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر، وعمر..

وفي نص طويل لهم يحظى بالقداسة لأنه صدر عن المعصوم بزعمهم خبر في غاية الأهمية ـ بالنسبة لموضوعنا، حيث نكشف لماذا اهتم شيعة عصرنا بدعوى البراءة ـ يقول خبرهم المزعوم: بأن دولة المهدي التي يترقبون

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ١١٦، بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.

(٢) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.

(٣) انظر: بحار الأنوار ٤٧/ ٣٢٣.

ظهورها في آخر الزمان تقوم على دعوة الناس إلى البراءة منهما[١]، أي من الخليفتين الراشدين، ويبدو أن نظرية عموم ولاية الفقيه التي ينادون بها في عصرنا تفرض عليهم القيام بهذه المهمة بدعوة الناس إلى البراءة في فترة غيبة المهدي نيابة عنه، ولذا نادوا بإعلانها في أكبر تجمع إسلامي...

ويؤكدون على هذا التبري في نصوص تدعو إلى «التدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان»[٢]، وتقرر أن عمدة الإيمان ولاية الأئمة والبراءة من أعدائهم، إذ بهما يتم الإيمان وبدونهما لا ينفع شيء من العقائد والأعمال[٣].

ويعقدون في كتبهم أبوابًا تتضمن البراءة من المسلمين ولا سيما أهل السنة، ففي الوسائل: «باب وجوب البراءة من أهل البدع وسبهم وتحذير الناس منهم...»[٤].

وفيه: «إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم»[٥].

ودرجة البراءة منهم تبلغ مستوى البراءة من الشيطان أكبر عدو للإنسان حيث قالوا: «والبراءة والعداوة لمن عاداهم وشاقهم كعداوة الشيطان الرجيم والبراءة ممن شايعهم وتابعهم..»[٦].

وإذا كان الأصل ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ النجم: ٣٨ فإن براءتهم تتجاوز

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٥٣/ ٦.

(٢) انظر: بحار الأنوار ٥٣/ ١٣٢.

(٣) بحار الأنوار ٦٩/ ٢٤١.

(٤) وسائل الشيعة ١٦/ ٢٦٦.

(٥) وسائل الشيعة ١٦/ ٢٦٧، الكافي ٢/ ٣٧٥.

(٦) بحار الأنوار ٢٢/ ٣١٥.

هذا القانون العادل لتأمر ببراءة شاملة فتقول: لا بد من «البراءة منهم كائنًا من كانوا: آباءهم وأمهاتهم وذوي قراباتهم..»[(١)].

وتوجه عبر أدعية خاصة إلى براءة شاملة تتناول البراءة من أفضل الأمة بعد النبيين ثم من شايعهما من الأولين والآخرين، أي البراءة من جميع المسلمين، يقول دعاؤهم: «اللهم العن اللذين بدلا دينك وغيرا نعمتك... اللهم العنهما لعنًا يتلو بعضه بعضًا، واحشرهما وأتباعهما إلى جهنم زُرقًا، اللهم إنا نتقرب إليك باللعنة عليهما والبراءة منهما في الدنيا والآخرة ـ إلى أن يقول ـ : اللهم العنهما لعنا يلعنهما به كل مَلَك مقرب وكل نبي مرسل وكل مؤمن امتحنت قلبه للإيمان، اللهم العنهما لعنًا يتعوذ منه أهل النار ومن عذابهما، الله العنهما لعنًا لا يخطر لأحد ببال، اللهم العنهما لعنًا في مستسر سرك وظاهر علانيتك وعذبهما عذابًا في التقدير وفوق التقدير، وشارك معهما ابنتيهما وأشياعهما ومحبيهما ومن شايعهما...»[(٢)].

وهذه البراءة لا يُعفى من القيام بها أحد، بل إن من والى الأئمة وأحبهم ولم يقم بطقوس البراءة فهو كاذب «قيل للصادق: إن فلانًا يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: هيهات!! كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا»[(٣)].

لكن من قام بواجب البراءة فقد أدى الذي عليه، «قال رجل للصادق: إني عاجز ببدني عن نصرتكم ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن فكيف حالي؟ فقال الصادق ـ كما يفترون ـ : حدثني أبي عن أبيه عن جدي عن

---

(١) بحار الأنوار ٢٤/ ٣٨٢.

(٢) بحار الأنوار ٥/ ١٣٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.

رسول الله ﷺ أنه قال: «من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش»[(١)].

بل إن من الملائكة من لا شغل لهم إلا البراءة واللعن «إن حول العرش تسعين ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلا الطاعة لعلي والبراءة من أعدائه»[(٢)]. بل هناك عوالم أخرى مهمتهم البراءة واللعن «خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغربًا أرضًا بيضاء مملوءة خلقًا.. يتبرؤون من فلان وفلان..»[(٣)].

وقد فطر الله البشر ـ بزعمهم ـ على هذه البراءة «إن الله لم يخلق أحدًا إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذرية الزكية والبراءة من أعدائهم»[(٤)].

وهي رسالة الأنبياء جميعًا: «ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا»[(٥)].

وهي مقتضى الهداية ومفارقتها عنوان الضلالة ففي قوله سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ البلد: ١٠ قالوا: إلى ولايتهم جميعًا وإلى البراءة من أعدائهم جميعًا[(٦)].

والبراءة من المسلمين بل من خُلَّص المسلمين وهم صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين تصاغ بعبارات تكشف اعتقادهم

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ٢٢٢، ٥٠/ ٣١٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٠/ ٩٥.
(٣) بحار الأنوار ٢٧/ ٤٥.
(٤) بحار الأنوار ٢٤/ ٣٣.
(٥) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٢٩.
(٦) بحار الأنوار ٢٤/ ٢٨٠

في أهل الإسلام ونظرتهم إلى عموم المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى قد تضلل من لا يعرف أمرهم ولا يدرك معتقدهم حيث يَصِمون المسلمين بأعداء أهل البيت والظالمين لهم، يقولون مثلًا:

«والبراءة من أعدائهم واجبة، ومن الذين ظلموا آل محمد ﷺ وهتكوا حجابه، وأخذوا من فاطمة فدك، ومنعوها ميراثها، وغصبوها وزوجها حقوقهما، وهموا بإحراق بيتها، أسسوا الظلم، وغيروا سنة رسول الله عليه وآله، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم واجبة....»[(١)].

وحينا يرمزون إلى عظماء الإسلام بالإشارة إلى قبائلهم كقولهم: «والبراءة من الأحزاب تيم (يعنون أبا بكر) وعدي (يعنون عمر) وأمية (يعنون عثمان) وأشياعهم وأتباعهم»[(٢)].

ورموزهم وإشاراتهم للوصول إلى أغراضهم وإشاعة مفاهيمهم متنوعة، فلو رجعت إلى مصادرهم رأيت الطامات، وسترى أن ما كتبه شيوخ الشيعة في ظل الدولة الصفوية كان فيه التكفير لأفضل أصحاب محمد ﷺ صريحًا ومكشوفًا، وما كتبه أوائل الشيعة في عصر الكليني وما بعده كان بلغة الرمز والإشارة، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية إلى حد ما وظهرت الاثنا عشرية على حقيقتها.

تقول مصادرهم عند قوله سبحانه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ الحجر: ٤٤ عن أبي بصير جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ قال: «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني

---

(١) بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الحصال لابن بابويه ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار ١٨/ ٢٣٢.

لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع ابن سلامة فهم أبواب لمن تبعهم»[١].

قال المجلسي في تفسير هذا النص: «زريق: كناية عن الأول، لأن العرب تتشاءم بزرقة العين، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كنى عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر، إذ الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك وإنما قدم الثاني لأنه أشقى وأفض وأغلظ، وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا ابن سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل، إذ كان اسم جمل عائشة عسكرًا، وروي أنه كان شيطانًا»[٢].

كما يرد في كثير من نصوصهم الإشارة إلى العظيمين أبي بكر وعمر بلقب «فلان وفلان» كما في روايتهم التي تقول: عن أبي عبد الله في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ البقرة: ١٦٨ قال: «وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان»[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ النور: ٤٠، قالوا: «فلان وفلان ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ النور: ٤٠، يعني: نعثل ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ النور: ٤٠، طلحة والزبير ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ النور: ٤٠، معاوية..»[٤].

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٢٤٣، البرهان ٢/ ٣٤٥.

(٢) البحار ٤/ ٣٧٨، ٨/ ٢٢٠.

(٣) تفسير العياشي ١/ ١٠٢، البرهان ١/ ٢٠٨، تفسير الصافي ١/ ٢٤٢.

(٤) تفسير القمي ٢/ ١٠٦، بحار الأنوار ٢٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

قال المجلسي: «المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان»[(١)].

ومن مصطلحاتهم أيضا للرمز للشيخين ما جاء في تأويلهم سورة الشمس وفيها ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ الشمس: ٣، «هو قيام القائم ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ الشمس: ٤، حبتر ودلام وغشيا عليه الحق»[(٢)].

قال شيخ الدولة الصفوية ـ في زمنه ـ (المجلسي): «حبتر ودلام: أبو بكر وعمر»[(٣)].

وهكذا تجد أن لغة الرموز في نصوص أوائلهم كشف حقيقتها وفضح الشيعة من خلالها متأخروهم من شيوخ الدولة الصفوية[(٤)].

ويظهر صدوقهم أيضًا في تقرير مسألة البراءة وبيان مفهومها عندهم برمز آخر غير رمز المشركين هو رمز الظالمين فيقول في: (باب الاعتقاد في الظالمين): «اعتقادنا فيهم أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبة»[(٥)].

ثم فسر مرادهم بالظلم والظالمين بقوله: «والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادعى الإمامة وهو غير إمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون»[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٠٦.

(٢) كنز الفوائد ٢٨٩ ـ ٣٩٠، بحار الأنوار ٢٤/ ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) بحار الأنوار ٢٤/ ٧٣.

(٤) انظر أيضًا تفسير القمي الذي هو أصل التفاسير عندهم يرمز للشيخين بفلان وفلان [تفسير القمي ١٠/ ٣٠١] ولكن حينما ينقل شيخهم الكاشاني هذا النص يصرح بالاسمين [تفسير الصافي ٢/ ٣٥٩].

(٥) الاعتقادات ص١١٢.

(٦) المصدر السابق ص ١١٢ ـ ١١٣.

فقوله: «فمن ادعى الإمامة» حكم على جميع خلفاء المسلمين وحكامهم من أبي بكر إلى نهاية الدنيا بأنهم ظلمة ملعونون، والبراءة منهم واجبة، ولا يستثنون من هذا الحكم سوى علي والحسن ومن ناب عن منتظرهم حسب المفهوم الجديد لولاية الفقيه عند متأخريهم ومعاصريهم.

وقوله: «ومن وضع الإمامة في غير أهلها» حكم آخر على من بايع هؤلاء الخلفاء ورضي بحبهم واعتقد وجوب طاعتهم بالمعروف.. من شعوب المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم إلى أن تقوم الساعة بأنهم ظلمة ملعونون والبراءة منهم واجبة.

هذا وتتفق كتبهم القديمة والمعاصرة على الاهتمام بمسألة «البراءة»، ففي كتاب «عقيدة الشيعة في الإمامية» المطبوع في سنة ١٣٩٧هـ، لشيخهم المعاصر محمد باقر الأصفهاني جاءت مجموعة من نصوصهم المسندة إلى معصوميهم ـ على حد اعتقادهم ـ لتقرر أن الدين عندهم هو الولاء لأئمتهم وشيعتهم والبراءة من مخالفيهم، وحين ساق الأصفهاني نصوص البراءة والولاء عندهم عقب عليها بقوله: «وقد ثبت بما مر من الأخبار الكثيرة الصريحة: الأصلان: التولي، والتبري، وهما أصلان من أصول المذهب عند الإمامية، ومحل اتفاقهم»(١).

وهم يقولون: إن من لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان وأتباعهم فهو عدو وإن أحب عليًا، وبالتالي فليس له غير اللعن والتبري والتكفير، جاء في الوسائل وغيره من كتبهم: «عن إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحب أمير المؤمنين ولا يتبرأ من عدوه، ويقول: هو أحب إلي ممن خالفه؟ فقال: هذا مخلط وهو عدو، فلا تصِل خلفه ولا كرامة إلا أن تتقيه»(٢).

---

(١) عقيدة الشيعة ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) وسائل الشيعة ٥/ ٣٨٩، وانظر: تهذيب الأحكام ١/ ٢٥٣، من لا يحضره الفقيه ١/ ١٢٦.

ولا يخطر ببالك أنهم يريدون بالعدو في قولهم: «ولا يتبرأ من عدوه» عدو المسلمين، بل هم يريدون خلفاء رسول الله ﷺ المهديين فهم الأعداء في قاموسهم، ولذا قال المجلسي عن أبي بكر وعمر وعثمان: «إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين، لعنة الله عليهم وعلى من تبعهم من الأولين والآخرين»[١].

وعقد بابًا في هذا الشأن بعنوان: (باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم)[٢] ولقد صار هذا الباب وأمثاله في هذا الجزء أحدى الفضائح الكبرى لهذه الطائفة، ولذا سارع شيوخهم فمنعوا طبعه حتى لا يطلع المسلمون على سوءاتهم وفضائح أعمالهم.

وبعد: فقد رأيت أنهم يعدون البراءة من ضرورات دينهم وأصول معتقدهم، ومنكر ذلك خارج عن الدين واقع في درك الجحيم.

ولعلك تدرك حينئذ أن اشتراطهم واهتمامهم من إعلان البراءة في الحج لاعتقادهم أن من لم يتبرأ فلا دين له وبالتالي فلا حج له.

وبراءتهم تبدأ بخلفاء المسلمين ثم تتوجه إلى قضاة المسلمين وعلمائهم، ومن ثم تعم الفرق الإسلامية كلها معتدلها وغاليها، وتنحدر إلى أمصار المسلمين ثم تطوق في النهاية الأمة الإسلامية كلها، ولا يستثنون سوى أقزام التاريخ الزنادقة، وهذا ما سيتبين من خلال (ممن يتبرؤون؟ ومن يوالون؟).

---

(١) بحار الأنوار ٤/ ٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار، الجزء الثامن من الطبعة الأولى.

المبحث الثاني:

المعنى الباطني الشيعي للشرك والمشركين

للشرك والمشركين مفهوم وتفسير عند الشيعة يختلف تمامًا عما يعرفه المسلمون وما جاءت به نصوص الشرع وأجمع عليه سلف الأمة...

فمادة «الشرك» في القرآن في جميع مواردها تُأَوَّل أو تطلق عندهم على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم[1]، فالشرك عندهم هو الشرك بإمامة رجل والتوحيد عندهم هو القول بإمامته، ولذا نجد نصوصًا كثيرة عندهم تقول: «من أشرك مع إمام إمامته من عند الله، من ليست إمامته من الله كان مشركًا»[2]، ولذا قال شيخهم أبو الحسن الشريف: «إن الأخبار (يعني أخبارهم) متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية الإمامية»[3].

وقال المجلسي: «إن آيات الشرك ظاهرها في الأصنام وباطنها في خلفاء الجور الذي أشركوا مع أئمة الحق ونصبوا مكانهم، يقول سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ النجم: ١٩ - ٢٠، أريد في باطنها باللات الأول وبالعزى الثاني وبمناة الثالث، حيث سموهم بأمير المؤمنين وبخليفة رسول الله وبالصديق والفاروق وذي النورين وأمثال ذلك»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.

(٢) الغيبة للنعماني ٨٢، بحار الأنوار ٢٣/ ٧٨.

(٣) مرآة الأنوار ٢٠٢، وانظر جملة من هذه النصوص في أصول الكافي ١/ ٤٣٧.

(٤) بحار الأنوار ٤٨/ ٩٦.

وقال: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده وفضل عليهم غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون في النار..»[١].

ثم نقل مفيدهم: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»[٢].

وقد فسروا كل نصوص القرآن المتعلقة بالنهي عن الشرك والأمر بالتوحيد وفق اعتقادهم هذا[٣].

ففي قوله سبحانه: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ فصلت: ٦ ـ ٧، قالوا: «ويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول، وهم بالأئمة كافرون»[٤].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ﴾ الزمر: ٦٥، جاء في الكافي (أصح كتاب عندهم في الرواية)[٥]، وفي تفسير القمي (عمدة تفاسيرهم)[٦]، وفي غيرهما (مصادرهم المعتمدة)[٧] تفسيرها بما يلي: «يعني إن أشركت في الولاية غيره»[٨]، وفي لفظ آخر: «لئن

---

(١) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.
(٢) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.
(٣) راجع أصول الكافي ١/ ٤٣٧.
(٤) تفسير القمي ٢/ ٢٦٢، بحار الأنوار ٢٣/ ٨٣ ـ ٨٤، البرهان ٤/ ١٠٦، تفسير الصافي ٤/ ٣٥٣.
(٥) أصول الكافي ١/ ٤٢٧.
(٦) تفسير القمي ٢/ ٢٥١.
(٧) انظر: البرهان ٤/ ٨٣، تفسير الصافي ٤/ ٣٢٨.
(٨) هذا لفظ الكليني في الكافي.

أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك»[١].

وساق صاحب البرهان أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[٢]، وقال: «فعلى هذا جميع المخالفين مشركون».

وفي قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ غافر: ١٢ قالوا: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ غافر: ١٢بأن لعلي ولاية ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ غافر: ١٢ من ليست له ولاية ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ غافر: ١٢﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ غافر: ١٢»[٣]

وعلى هذا الاتجاه تجري مسيرة البراءة بعيدة عن فهم السلف بل بعيدة عن فهم جميع المسلمين سلفهم وخلفهم فهو مفهوم هادف يقصدون به النيل من الدين الصحيح وأهله، وأصول لغة العرب، وتأخذ بتأويل باطني صرف لا تربطه بالنص أدنى رابطة من دلالة السياق أو دلالة الألفاظ أو المعاني، وترتب على ذلك التأويل المتعسف البراءة من المسلمين لأنهم في اعتقادهم مشركون.

وقد وضعوا هذا التأويل أو بعبارة أدق «التحريف» قاعدة مستمرة وقانونًا ثابتًا، فقالوا: «كل ما ورد ظاهره في الذين أشركوا مع الله سبحانه ربًا غيره من الأصنام التي صنعوها بأيديهم ثم عظموها وأحيوها والتزموا عبادتها وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، بغير أمر من الله بل بآرائهم وأهوائهم: فباطنه وارد في الذين نصبوا أئمة بأيديهم وعظموهم

---

(١) هذا لفظ القمي في تفسيره.

(٢) البرهان ٤/ ٨٣.

(٣) كنز جامع الفوايد للبرقي ٢٧٧، بحار الأنوار ٢٣/ ٣٦٤، وانظر: تفسير القمي ٢/ ٢٥٦، أصول الكافي ١/ ٤٢١، البرهان ٤/ ٩٣، ٩٤، تفسير الصافي ٤/ ٣٣٧.

وأحبوهم والتزموا طاعتهم وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم»[١].

ووفق هذا «التحريف» فإن الأئمة الاثني عشر عند الاثني عشرية، والأئمة السبعة عند السبعية، أو الإسماعيلية، والثمانية عند الفطحية وغيرهم من فرق الشيعة ـ على اختلاف بينهم في أعداد الأئمة وأعيانهم ـ هؤلاء الأئمة عند هذه الفرق هم المنصوص عليهم من عند الله، ومن ابتغى سواهم أو بايع غيرهم فهو في عداد المشركين المخلدين في نار جهنم[٢].

ووضعهم لهذا المبدأ وانطلاقهم منه يعني أن أخبارهم تواطأت وتضافرت على هذا المنكر العظيم وهذا ما صرحوا به فقالوا: «إن الأخبار متضافرة في تأويل المشرك بالله والمشرك بعبادته بالمشرك في الولاية والإمامة، أي يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد ﷺ (يعني الأئمة الاثني عشر) ولاية غيرهم»[٣]. ولو تتبعت كتب التفسير عندهم ـ كتفسير القمي الذي هو أصل أصول التفاسير لديهم، أو تفسير البرهان للبحراني، أو تفسير العياشي وغيرها ـ لوجدت أن آيات التوحيد والنهي عن الشرك قد جردت من معناها الشرعي وحولت إلى هذا المعنى الباطني[٤]، وهذا التوجه مفتاح كل شر وباب كل فتنة، كيف وهو يتعلق بأصل الدين وأساس دعوة المرسلين وميزان قبول الأعمال يوم الدين وأول واجب على المكلف وآخر واجب، أعني توحيد الله سبحانه بألوهيته، ولذلك انتشر الشرك في بلادهم

---

(١) مرآة الأنوار ص ١٠٠.

(٢) ولهذا فإن التوحيد عند الاثني عشرية في عصرنا هو الاعتقاد بأن الخليفة على المسلمين هو مهديهم المنتظر (إمامهم الثاني عشر)، والشرك الأكبر هو جحده أو الشك فيه.

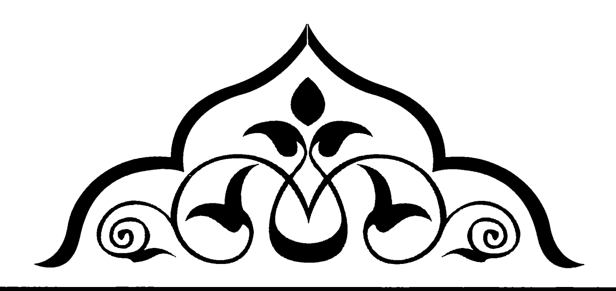
(٣) مرآة الأنوار ص ٢٠٢.

(٤) بل جميع مصطلحات الكفر كالشرك والردة والضلال، وكذا جميع المحرمات تفسر وفق هذا المعنى الباطني: راجع للتفصيل أصول الشيعة ١/ ١٨٧. وما بعدها.

بلا نكير، وعقدت أمهات كتبهم الأبواب والكتب التي تدعو للشرك، ووضعت المصنفات عندهم بما أسموه مناسك المشاهد ليضاهئوا شرع الله في مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، بل فضلوا بعض مشاهدهم على بيت الله الحرام، وجعلوا زيارتها أفضل من الحج إلى بيت الله مئات المرات[1].

---

(١) راجع للتفصيل أصول مذهب الشيعة ٢/ ٤٢٥ وما بعدها.



الفصل الثالث

أنواع البراءة ومراتبها

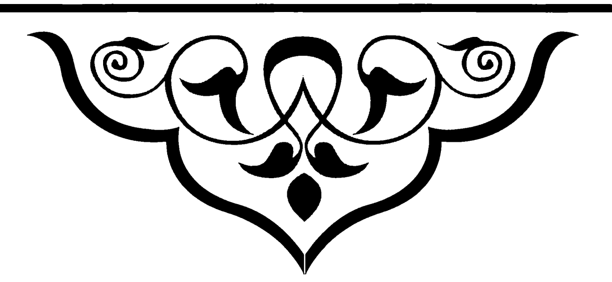
ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: براءة المخالفة.

المبحث الثاني: البراءة الصامتة.

المبحث الثالث: البراءة الناطقة.

المبحث الرابع: البراءة القاتلة (براءة الاعتداء والعدوان).



توطئة

البراءة عندهم لها صور شتى وأنواع متعددة، تبدأ من الأصل الأول عندهم وهو قصد مخالفة الأمة، وتنتهي ببروتوكولات القتل والاغتيال، مرورًا بتوزيع صكوك التكفير والحرمان (من الجنان) لعموم أمة الإسلام، ولكن في ظروف الخوف وفي حالات العجز أو عند إرادة تحقيق مصلحة للفرد أو للطائفة أو عند المدارة أو الخداع أو الدعاية المذهبية ـ تكتفي بالبراءة الصامتة بلا ضجيج ولا إعلان، بل موافقة في الظاهر ومخالفة في الباطن، كما سيتجلى ذلك ـ بإذن الله تعالى ـ في مبحث البراءة الصامتة.

المبحث الأول:

مخالفة الأمة

لقد وضع أساطين المذهب الرافضي لبني ملتهم مبدأ مخالفة الأمة، وأغروا أتباعهم بالتزامه وجعلوه علامة لإصابة الحق عندهم، بل هو الرشاد والسداد وفق مقاييس دينهم فهم يقولون: «ما خالف العامة (يعني أهل السنة وعموم المسلمين) ففيه الرشاد».

ويبلغ الأمر في تحقيق مبدأ مخالفة الأمة عندهم إلى حد رد أي خبر أو حديث يوجد في كتبهم ويروى عن أئمتهم لكنه يوافق أمة الإسلام، ففي الكافي سؤال لأحد أئمتهم يقول: «إذا وجدنا أحد الخبرين موافقًا للعامة والآخر مخالفًا لهم بأي الخبرين يؤخذا ؟ فأجاب قائلًا: «ما خالف العامة ففيه الرشاد. فقال السائل: جعلت فداك.. فإن وافقها الخبران جميعًا؟ قال إمامهم: ينظر إلى ما هم إليه أميل بأحكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر.

قال السائل: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعًا؟ قال: إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[(١)].

ولهذا يؤكد شيخهم وآيتهم محمد باقر الصدر قيام دينهم على مبدأ مخالفة الأمة فيقول: «وقد بلغ الأمر بالأئمة في التقية لا من الحكام فحسب بل من الأمة بصورة آكد أن جعلوا العامة مقياسًا لترجيح إحدى الروايتين

---

(١) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ١/ ٦٨، وينظر: وسائل الشيعة، باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة ١٨/ ٧٥، من لا يحضره الفقيه لابن بابويه ٣/ ٥، التهذيب للطوسي ٦/ ٣٠١، الاحتجاج للطبرسي ١٩٤.

المتعارضتين على الأخرى»[١].

وهذا ما وضعه لهم شيخهم الكليني (ت٣٢٩هـ)[٢]، حيث ذكر أن من وجوه التمييز عند اختلاف رواياتهم قول إمامهم: «دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم»[٣].

وهذا ما نسبوه زورًا وبهتانًا لجعفر بن محمد أنه قال: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا ما خالف القوم»[٤]، (يعني المسلمين ولا سيما أهل السنة منهم).

وعن الحسن بن الجهم قال: قلت للعبد الصالح[٥] ـ رضي الله عنه ـ : هل يسعنا فيما ورد علينا منكم إلا التسليم لكم؟ فقال: لا والله لا يسعكم إلا التسليم لنا. فقلت: فيروى عن أبي عبد الله شيء ويروى عنه خلافه فبأيهما نأخذ؟ فقال: خذ بما خالف القوم (أشار للصفوة المختارة من المسلمين وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين أعني أهل السنة والجماعة) وما وافق القوم فاجتنبه»[٦].

ويؤكدون على براءتهم من المسلمين في كل شيء ومفاصلتهم للأمة في الصغير والكبير والنقير والقطمير، فيقولون: «ما أنتم والله على شيء مما فيه،

---

(١) «تعارض الأدلة الشرعية» تقرير لأبحاث محمد باقر الصدر، نشرها محمود الهاشمي، وانظر في هذا المعنى أيضًا بحث: «وظيفة المجتهد عند تعارض الأدلة» المنشور في مجلة كلية أصول الدين ببغداد، كتبه داود العطار مدرس التفسير وعلوم القرآن في الكلية ص١٣٣، العدد ٣، ٤ السنة الخامسة شوال ١٣٩١هـ (والكلية شيعية ومجلتها تعتمد في أبحاثها على كتب الشيعة).

(٢) صاحب الكافي الملقب عندهم بثقة الإسلام.

(٣) أصول الكافي، خطبة الكتاب ٨، وانظر: وسائل الشيعة١٨ / ٨٠.

(٤) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

(٥) هذا اللقب يراد به عندهم الإمام.

(٦) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥

ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم فما هم من الحنيفية على شيء»[(١)].

ويقرر شيخهم نعمة الله الجزائري[(٢)] هذا المعنى الخطير والانفصال الرهيب والعزلة الفكرية والعقدية بل العزلة العامة الشاملة عن أمة الإسلام بقوله: «لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمدًا ﷺ نبيه وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[(٣)].

فانظر مبلغ الحمق ومنتهى الزندقة أن كفروا بالله ورسوله، وفارقوا المسلمين فلم يجتمعوا معهم في الإيمان بالله ورسوله، بل فارقوهم في كل شيء، ولا تظن أن هذا الكلام من أحد عوامهم أو من المنتسبين إلى العلم عندهم، بل هو من كبار شيوخهم.

وهذه البراءة يحاولون نشرها بين فصائل الشيعة على اختلاف طبقاتها، بل ويعملون على إشاعتها بين عوامهم إلى حد أنهم يوصون أتباعهم وعموم شيعتهم بوصية يستطيع القيام بها كل فرد منهم، وهي تُعمِّق مبدأ المخالفة وتضمن استمرار المفاصلة، وتكفل لعموم هذه الطائفة العزلة الكاملة عن جماعة المسلمين وإجماعهم، هذه الوصية تضمنها النص التالي:

«عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا ـ رضي الله عنه ـ يحدث الأمر لا أجد بدًّا من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك،

---

(١) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥

(٢) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٩.

(٣) قال عنه الخوانساري: «كان من أعاظم علمائنا المتأخرين وأفاخم فضلائنا المتبحرين». وقال فيه محدثهم القمي: «كان عالمًا محققًا مدققًا جليل القدر».

انظر: روضات الجنات للخوانساري ٤/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢، الكنى والألقاب للقمي ٣/ ٢٩٨.

قال: فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ائت فقيه البلد ـ يعني من أهل السنّة ـ فاستفته في أمرك، فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه)[١].

فكل شيعي تحدث له مشكلة أو يحتاج لسؤال عن مسألة ولا يجد من يستفتيه من شيوخهم فما عليه إلا أن يسأل فقيه البلد ومفتي المسلمين فإذا أفتاه بحرمة شيء فليعتقد حله، وإن أفتاه بحله فليذهب إلى حرمته، والقاعدة أن عليه أن يأخذ بضد فتواه ويعمل بخلاف أمره.

ويعلق أحد شيوخهم على النص السابق مغريًا أتباعه بالتزامه ومقررًا أنه إحدى النعم على هذه الطائفة (مع أنه كبرى النقم) فيقول: «من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة، فأضلهم في جميع المسائل النظرية حتى يكون الأخذ بخلافهم ضابطة لنا، ونظيره ما ورد في حق النساء شاوروهن وخالفوهن»[٢].

هذه مبادئ في منتهى الخطورة تدعو كل شيعي إلى مخالفة أمة الإسلام ونبذ إجماعهم، وهي من وضع زنديق ملحد أراد أن يفتح للشيعة بذلك أبواب الخروج من الإسلام، بل مخالفة ما عليه الصفوة المختارة الفرقة الناجية المنصورة المحقة أهل السنة والجماعة التي تمثل الإسلام الخالص والدين الحق، الطائفة التي لا تزال متمسكة بالحق قائمة بأمر الله، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها إلى أن تقوم الساعة، وإنما الضرر يقع على المخالف، والخذلان والخسران يبوء به المجانف للحق، فكيف بمن جعل مخالفتهم أصلًا لعمله وقاعدة لدينه؟! فإن هذه الطائفة المخذولة والشيعة المرذولة «جعلوا ـ كما

---

(١) علل الشرائع لابن بابويه ٥٣١، التهذيب للطوسي ٦/ ٢٩٥، وسائل الشيعة للحر العاملي ١٨ / ٨٢ ـ ٨٣، بحار الأنوار للمجلسي ٢/ ٢٣٣.

(٢) الإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ٧٠ ـ ١١.

يقول الألوسي ـ مخالفة أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ألا للنجاة فصار كلما فعل أهل السنة شيئًا تركوه، وإن تركوا شيئًا فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين رأسًا، وذلك هو الضلال المبين والهلاك باليقين، ومع ذلك يقولون: نحن أتباع أهل البيت، كلا بل هم أتباع الشياطين، وأهل البيت منهم بريئون»[١].

وهذا المبدأ الذي وضعه هؤلاء الزنادقة لعموم الشيعة نسبوه لأهل بيت رسول الله ﷺ ليحظى بالقبول عند الأتباع.

مع أن الواقع العملي لأئمة أهل البيت والمأثور من أقوالهم لا يخرج عن إجماع المسلمين ولا يشذ عن جماعتهم، ولقد اضطر الشيعة ـ وهم الذين مردوا على التكذيب بالحقائق الواضحات وإنكار الوقائع والبينات ـ اضطروا أن يقروا بأن عليًا لم يذد عن إخوانه المهاجرين والأنصار ولم يخرج عن إجماعهم وجماعتهم، بل إنه كما يقول الشريف المرتضى: «دخل في آرائهم، وصلى مقتديًا بهم، وأخذ عطيتهم، ونكح سبيهم وأنكحهم، ودخل في الشورى»[٢]، وغير ذلك.

بل إن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يذهب في موافقته لإخوانه ولزومه لإجماعهم وكراهة الخلاف له إلى أعلى المستويات حتى قال رضي الله عنه كما روى البخاري: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[٣].

قال ابن حجر: (قوله: «فإني أكره الاختلاف» أي الذي يؤدي إلى النزاع

---

(١) الألوسي، كشف غياهب الجهالات ـ الورقة ٦ (مخطوط).

(٢) تنزيه الأنبياء للمرتضى ص١٣٢.

(٣) صحيح البخاري (مع فتح البخاري) ٧ / ٧١.

قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد: المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك: حتى يكون الناس جماعة)[(١)].

ولكن هذه الموافقة والمتابعة أوَّلها الروافض بتأويل مخالف للمعقول والمنقول وما أثر عن الرسول ﷺ واللغة والعرف والواقع والأمور المعلومة الضرورية المتفق عليها.

لقد زعموا أن موافقته لإخوانه كانت في الظاهر وكان مخالفًا لهم في الباطن، وكان يقول ويعمل خلاف ما يعتقد، أي كان يتعامل معهم بالنفاق والكذب، ويصور ذلك شيخهم المفيد بقوله: «وكانت إمامة أمير المؤمنين بعد النبي ﷺ ثلاثون سنة منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر ممنوعًا من التصرف في أحكامها مستعملًا للتقية والمداراة، ومنها خمس سنين وستة أشهر ممتحنًا بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين[(٢)]، كما كان رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعًا من أحكامها خائفًا ومحبوسًا وهاربًا ومطرودًا لا يتمكن من جهاد الكافرين ولا يستطيع دفعًا عن المؤمنين، ثم هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهدًا للمشركين ممتحنًا بالمنافقين إلى أن قبضه الله جل اسمه إليه وأسكنه جنات النعيم»[(٣)].

فالمفيد وشيعته يرون أن حكومة الصديق والفاروق وذي النورين حكومة كافرة، حكامها كافرون والمجتمع كافر، فهم مثل كفار قريش سواء بسواء، ولذلك شبه سيرة علي معهم بسيرة رسول الله ﷺ مع كفار مكة.

---

(١) فتح الباري ٧ / ٧٣.

(٢) ورد في معاني الأخبار لشيخهم ابن بابويه القمي ص٢٠٤: «أن المراد بالناكثين الذي بايعوه بالمدينة ونكثوا بيعته بالبصرة -كذا - وبالقاسطين: معاوية وأصحابه من أهل الشام، وبالمارقين: أصحاب النهروان».

(٣) الإرشاد للمفيد ص ١٢.

بل حين جاء الشيعة ورأوا سيرة علي رضي الله عنه في فترة خلافته موافقة في أحكامها وسننها لسيرة إخوانه الخلفاء الراشدين قبله، قالوا بأنه سار بسيرتهم وسلك طريقتهم تقية ومصانعة مع أنه صاحب الأمر والنهي وبيده الحل والعقد، فأي أمر يضطره إلى النفاق والكذب؟ وهو الخليفة الراشد والإمام الزاهد، والقائد الشجاع الذي لا يخاف سوى ربه؟ ولو سلم لهم جدلًا أنه وافق من قلبه في عهدهم تقية، فكيف يقبل عاقل القول بأن أمير المؤمنين سار في عهد خلافته على النفاق والكذب؟ وأي طعن في أمير المؤمنين أشد من هذا الطعن؟ لكن الروافض حين رأوا أن سيرة أمير المؤمنين بقوله وفعله مخالفة لما يعتقدون ويقولون ويعملون لم يتمكنوا من تعليل هذه السيرة إلا بهذا الجواب العليل والتأويل البليد، ولهذا قالوا على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري:

«ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه»(١).

هذا جوابه وتعليله، أي أن عليًا سار تلك السيرة على سبيل المجاملة والمصانعة، مع أن حقيقة الأمر الذي يدركه كل عاقل بداهة أنه ما كان لعلي ولا لغيره من الصفوة المختارة أن يداهن في دين الله، ويرضى بتغيير أحكام الله ويوافق على تبديل القرآن ـ على حد زعمهم ـ ولا يتمكن من إظهار القرآن الكامل وهداية الأمة، كل ذلك لخوفه وجبنه وهلعه، أو مجاملته ومصانعته للبشر، فلا يظن من في قلبه مثقال ذرة من محبة لأمير المؤمنين علي وإحسان ظن به فضلًا عن إيمان بالله وتقوى له سبحانه، أن أمير المؤمنين يصل إلى هذا الدرك من المداهنة حتى إنه يخشى الناس ولا يخشى الله، ويقدم رضا

---

(١) الأنوار النعمانية ٢/ ٣٦٢.

المخلوق على رضا الخالق وهو أسد الله في المشارق والمغارب والذي قاتل الخوارج على أقل من هذا الأمر الذي يشير إليه هذا الأفاك الزنديق..

لم يقل هذا المفتري: إن سيرة علي دليل على أن كل دعاوى الروافض وشذوذهم من وضع الزنادقة وافترائهم، لأن الواقع أكبر برهان، بل حمل سيرة أمير المؤمنين وهو الخليفة وصاحب السلطان حملها على التقية وفي أعظم أمر تتعلق به هداية الأمة، إنه في أصل الإسلام وهو القرآن العظيم، فما أعظم افتراء القوم ! وما أجرأهم على الكذب ! وما أشد غفلة من يشايعهم أو يظن في كلامهم الصدق!!

وبعد: فهذا مبدأ المخالفة وأصل المفاصلة لأمة الإسلام في الأصول والفروع معتقد راسخ وأصل ثابت عند هذه الطائفة لا يحيدون عنه، قرره الأقدمون وارتضاه المعاصرون ـ كما رأينا ـ ، أما إظهار هذه المخالفة عمليًا فإنه يتم على مراحل ودرجات حسب ظروف التقية وما تسمح به الأحوال المرعية، فمن أول مراحلها العملية ما اصطلحنا على تسميته بالبراءة الصامتة وهي موضوع الفصل التالي.

المبحث الثاني:

خداع المسلمين بالتظاهر خلاف ما في الباطن
البراءة الصامتة

يراد بالبراءة الصامتة البراءة الخفية غير الظاهرة والمستترة غير المعلنة على حد قولهم: «خالطوهم بالبرانية[1] وخالفوهم بالجوانية[2] إذا كانت الإمرة صبيانية»[3].

هذا هو الشعار الذي يتخذه الرافضة دينًا وعقيدة في معاملة المسلمين.

ومعناه: إذا كان السلطان بيد غيرهم والإمارة ليست لشيعتهم، فيكتفون ببراءة القلب والتظاهر (بأقوالهم وأفعالهم) أمام الآخرين بخلاف ما يعتقدون، فيعيشون وسط المجتمع المسلم وفي ظل الحكومة الإسلامية ظواهرهم مع المسلمين وحكام المسلمين وقلوبهم وبواطنهم وعواطفهم وتآمرهم مع أعدائهم، فهم عين وعون وردء لأعداء المسلمين على المسلمين، وربما باحوا بالبراءة بالرمز والإشارة أو باللغة والعبارة (الباطنية) ولكن لأتباعهم ولمن يفهم خطابهم من شيعتهم. وهي ما يسمى عندهم «بالتَقِيَّة».

فالتقيَّة تعني أن يقول لك الشيعي قولًا أو يفعل أمامك فعلًا وهو لا يؤمن به ولا يعتقده أصلا[4]، بل يتظاهر أمامك بثوب آخر يخفي به عقيدته ويتقنع

---

(١) البرانية هي العلانية (هامش الكافي ٢/ ٢٢٠).

(٢) الجوانية: هي السر والباطن (المصدر السابق).

(٣) أصول الكافي ٢/ ٢٢٠.

(٤) قال شيخهم المعاصر محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت: التقية أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد.. [الشيعة في الميزان ص٤٨].

بقناع يستر به عورته حتى لا تقف على حقيقة مذهبه ولا تدرك خفايا معتقده، ويرى أن فعله هذا عبادة من العبادات لا يتأثم من فعلها ولا يستحيي من تمثيلها، بل هي في نظره تسعة أعشار الدين، بل هي الإيمان كله، ولا إيمان لمن لم يفعل ذلك ولا دين له، بل هو إن لم يفعلها من الخارجين عن دين الرافضة المفارقين لجماعتهم..

ولعل هذا اللون من الاعتقاد عند هذه الطائفة لا مثيل له بين المذاهب والمعتقدات السائدة بين بني الإنسان، إذ إن العُرف الشائع والمفهوم الجاري أن الكذب وتظاهر المرء بخلاف حقيقته سِبة وعار، وجبن وَخَور، ونفاق وخسة، وكذب صراح، وغاية الأمر أنه يسوغ في حالة الخوف والإكراه من باب الاضطرار، أما أن يكون عادة جارية وخلقًا ثابتًا بل عملًا شريفًا ودينًا مفروضًا في حال الاختيار وفي الظروف العادية، فلا وجود لهذا المفهوم إلا في دين الرافضة ومعتقداتهم.

وإن ظن من يقرأ هذا الكلام أن في الأمر مبالغة في تصوير هذا الاعتقاد عندهم وتزيدًا عليهم فليستمع إلى ما يقولون، وليرَ ما يصنعون، وليأخذ الحقيقة من أفواههم ليراها جلية واضحة في المعتمد من مصادرهم.

تُصوِّر بعض نصوصهم حقيقة ما شاع في كتبهم تسميته بالتقية بقولها داعية كل شيعي للالتزام بها: «خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»[(١)].

قال شيخهم الملقب عندهم بالصدوق في كتابه: «الاعتقادات» المسمى دين الإمامية: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»[(٢)].

---

(١) مجالس المفيد ص ٨٥، بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٠.

(٢) الاعتقادات ص١١٤.

وجاء في أقوال أئمتهم المقدسة عندهم ما يلي:

- «لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا»[(١)].

- «تارك التقية كتارك الصلاة»[(٢)].

- إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»[(٣)].

- اتقوا الله في دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له»[(٤)].

- «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[(٥)].

- «لا تبُثوا سرنا ولا تذيعوا أمرنا»[(٦)].

- «من أذاع علينا حجيتنا سلبه الله الإيمان»[(٧)].

ونصوصهم في هذا الباب كثيرة وأقوال شيوخهم مستفيضة، حيث تجد في كتبهم المعتمدة أبوابًا لهذه العقيدة لا تجدها في كتب المسلمين.

ففي الكافي أهم مصدر لهم في الحديث والرواية باب بعنوان: (باب التقية) وفيه ٢٣ حديثًا لهم[(٨)]، وباب ثان بعنوان: (باب الكتمان) ذكر فيه ١٦ حديثًا

---

(١) السرائر لابن إدريس ص٤٧٩، من لا يحضره الفقيه ٢/ ٨٠، جامع الأخبار ص١١٠ كلاهما لابن بابويه، وسائل الشيعة للحر العاملي ٧/ ٩٤، بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٢.

(٢) جامع الأخبار ص١١٠، بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٢.

(٣) أصول الكافي ٢/ ٢١٧، المحاسن للبرقي ص٢٥٩، وسائل الشيعة ١١/ ٤٦٠، بحار الأنوار ٧٥/ ٤٢٣.

(٤) أصول الكافي ٢/ ٢١٨.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٢٢.

(٦) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٣٧٠.

(٨) انظر: الكافي ٢/ ٢١٧ ـ ٢٢١.

تأمر بكتمان الاعتقاد، والمفاصلة الشعورية والعاطفية والسرية للمسلمين، وباب ثالث بعنوان: (باب الإذاعة) يتضمن ١٢ حديثًا تحذر من إذاعة أمرهم، وتأمر بكتمان دينهم، وتوجه إلى التعامل مع المخالفين وفق أحكام التقية.

وتسير على طريقة (الكافي) كتب الرواية الأخرى المعتمدة عند هذه الطائفة، ففي البحار ـ الذي قال عنه بعض شيوخهم المعاصرين: إنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب ـ باب عنوانه: (باب التقية والمداراة) ذكر فيه مائة وتسعة أحاديث تقرر هذا المذهب الخطير وتفرضه وتوجه إلى أساليب استعماله.

والملاحظ أن كتمانهم وتقيتهم تجري في الغالب مع المسلمين وترتفع مع الزنادقة الملحدين، وإذا قرأت ذلك الحوار الذي سجله أحد شيوخهم وادعى وقوعه بين أحد الزنادقة وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه (وأمير المؤمنين علي بريء من هذا الافتراء) أدركت أنهم لا ينطلقون على سجيتهم ولا يصرحون بالحقيقة إلا في جو الإلحاد وكهف الزنادقة[١]، ومن قبل قال أحد الدعاة الإسماعيليين: لا تتكلم في بيت فيه سراج ـ يعني فقيهًا أو طالب علم ـ[٢].

وقرر شيخهم المفيد أن عصر الخلافة الراشدة هو عهد تقية مضاعفة[٣]، بل نصوصهم التي تأمر بالتقية وتلزم بالكتمان هي منسوبة لبعض أئمة أهل البيت الذين كانوا يعيشون في فترة القرون المفضلة وفي ظل الخلافة الإسلامية، أي أن القرون المفضلة هي فترة تقية، وتؤكد طائفة من وصاياهم وتقريرات

---

(١) انظر: نص الحوار المزعوم في الاحتجاج لشيخهم الطبرسي ٢٤٩ ـ ٢٥٤، وينظر: فقرات منه مع التعليق عليه في: أصول الشيعة ١/ ٢٥٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: مراتب الدعوة عند الإسماعيلية في كتب الفرق. (الفرق بين الفرق ص٢٩٨، فضائح الباطنية ص٢١).

(٣) انظر: نص المفيد في الإرشاد ص١٢، وقد مضى ذكره.

شيوخهم أن تعامل عموم الشيعة مع الصفوة المختارة من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة يجب أن يتم وفق بروتوكولات التقية وأساليبها الخادعة.

وقد جاء في أجمع كتاب لهم في الأحكام وأحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية وهو «وسائل الشيعة» باب بعنوان: (باب وجوب عشرة العامة ـ أهل السنة ـ بالتقية)[١].

وكلما كان الرجل عندهم أقدر على الخداع والكذب وأبرع في التقية والمخادعة كلما ارتفع قدره لديهم[٢]، ولذلك يشيد بعض شيوخهم المعاصرين بطريقة الحسين بن روح [المتوفى سنة ٣٢٦هـ] ـ وهو أحد زعمائهم السريين وأحد الأبواب الأربعة ـ في طريقة تعامله مع أهل السنة وفق طقوس التقية ويقول: «كان من مسلكه الالتزام بالتقية المضاعفة بنحو ملفت للنظر بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة»[٣].

وإليك نموذجًا من طريقته لتدرك إلى أي مدى يمكن أن يذهب الشيعي في عمله بالتقية، وكيف يخادعون أهل السنة ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتندرون فيما بينهم بغفلة بعض أهل السنة وتصديقهم لنفاقهم وانخداعهم بكذبهم وتقيتهم.

جاء في الغيبة للطوسي (وهو شيخ الطائفة على الإطلاق، وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرواية، وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرجال): «عن عبد الله بن غالب قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يومًا في دار ابن يسار وكان

---

(١) وسائل الشيعة ١١/ ٤٧٠.

(٢) وقد شاع في أسمائهم لقب «تقي» من التقية لا من التقوى نسبة لبراعة صاحبه في التقية.

(٣) محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى ٤١١.

له محل عند السيد المقتدر عظيم وكانت العامة أيضًا تعظمه ـ وعهدي به وقد تناظر اثنان فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ثم عمر ثم علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم رضي الله عنه: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجبًا من هذا القول، وكاد العامة (يعني أهل السنة) الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض، فوقع عليَّ الضحك، فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي، وأدس كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح فوثبت عن المجلس، ونظر إليّ ففطن بي، فلما حصلت في منزلي فإذا الباب يطرق، فخرجت مبادرًا فإذا بأبي القاسم الحسين ابن روح راكبًا بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي: يا أبا عبد الله ـ أيدك الله ـ لم ضحكت؟ فأردت أن تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق، فقلت: كذلك هو عندي، فقال لي: اتق الله أيها الشيخ فإني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني! فقلت: يا سيدي، رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول يتعجب منه ويضحك من قوله هذا! فقال لي: وحياتك[1] لئن عدت لأهجرنك وودعني وانصرف»[2].

نقلنا هذا النص رغم طوله ليدرك القارئ حجم الكيد والكذب، وخفاء المكر والمخادعة، والجرأة على التلون والمصانعة، ومع ذلك فإن عقلية شيوخ شيعة هذا العصر تؤيد هذا النفاق وتشيد به وتدعو لترسم منهجه[3].

---

(١) هذا اليمين من الشرك الأصغر، ولكن ما عند هؤلاء أكبر وأخطر، وإنما هذا التنبيه للقارئ العادي.

(٢) انظر: الغيبة للطوسي ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣) راجع إشادة شيخهم (الصدر) بهذا المنهج في كتابه (تاريخ الغيبة الصغرى) ص٣٨٥ حيث نقل هذه الحادثة عن ابن روح مؤيدًا لمنهجه مثنيًا على مسلكه.

وتعرض مصادر الشيعة الرافضة صورًا للمخادعة تأخذ شكل الموالاة والموافقة وهي في حقيقتها مخالفة ومعاداة وبراءة، وذلك لتعليم عموم الشيعة هذا المسلك وتربيتهم على هذا المنهج.

استمع إلى صور من ذلك وردت في المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب عندهم كما يقولون: وأحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية:

«يتقدم بعض أهل السنة إلى أحد الروافض بسؤال ليتحقق من معتقده، ليتسنى له حينئذ بيان الحق له وكشف الغمة عنه، فيسأل عمن تواتر فضلهم واستفاض في النصوص الثناء عليهم وهم العشرة المبشرون بالجنة.

قائلًا: ما تقول في العشرة من الصحابة؟

قال (الشيعي): أقول فيهم الخير الجميل الذي يحبط الله به سيئاتي ويرفع به درجاتي.

قال السائل (السني): الحمد لله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضيًا تبغض الصحابة.

(وكان من المتوقع أن يسكت الرافضي ويكتفي باقتناع السني، لكنه أردف قائلًا): ألا من أبغض واحدًا من الصحابة فعليه لعنة الله.

فشك السني واستراب من جواب الرافضي وانتقاله في تأكيد الجواب من التخصيص إلى التعميم، ومن الترضي أو الثناء على العشرة المبشرين إلى عموم الصحابة أجمعين، وهو ما لا يرد في قاموس هؤلاء الروافض أجمعين، فظن أن جوابه ورد مورد التقية، وقال: لعلك تتأول، ما تقول فيمن أبغض العشرة من الصحابة؟ فقال الرافضي: من أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فما كان من السني (كما يقول خبرهم) إلا أن وثب يقبل رأسه وقال: اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم.

قال: أنت في حل وأنت أخي، ثم انصرف السائل (أي السُّني).

هذه المحاورة شهدها كما تقول الرواية أحد أئمتهم فقال: جودت! لله درك، لقد عجبت الملائكة في السماوات من حسن توريتك وتلطفك مما خلصك الله، ولم يثلم دينك، وزادك الله في مخالفينا غمًا إلى غم، وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم».

إلا أن هذا الأسلوب في التقية والمراوغة كان من الخفاء إلى درجة أن وجه التقية فيه أشكل على بعض الحاضرين من الشيعة، فقالوا: بعد سماعهم لثناء الإمام على هذه المصانعة الكاذبة: يا ابن رسول الله ما عقلنا من الكلام إلا موافقة صاحبنا لهذا المتعنت الناصب. فأجابهم إمامهم قائلًا: لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمنا نحن. وقد شكر الله له، إن الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا إذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه وفَّقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، وعظم الله بالتقية ثوابه، إن صاحبكم هذا قال: من عاب واحدا منهم فعليه لعنة الله، أي من عاب واحدًا منهم وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال في الثانية: من عابهم أو شتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق، لأن من عابهم فقد عاب عليًا عليه السلام، لأنه أحدهم، فإذا لم يعب عليًا ولم يذمه فلم يعيبهم وإنما عاب بعضهم»[١].

وتصف أخبارهم حالة رجل رافضي تظاهر بأنه تاب من الرفض وعاد إلى المذهب الحق، وحين جيء به بين يدي الناس في بغداد ليشهدوا توبته نودي: «معاشر الناس اسمعوا توبة هذا الرافضي. ثم يقولون له قل فقال: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبا بكر».

---

(١) بحار الأنوار ٧٥/ ٤٠٢.

فلما «فعل ذلك ضجوا وقالوا: قد طاب[١]، وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب».

وتنقل هذه الصورة الصوتية للتوبة لأحد أئمتهم ولكنه يطلب من الناقل أن يعيد عليه الحديث في وقت آخر قائلًا: «إذا خلوت فأعد عليَّ هذا الحديث، فلما خلا أعاد عليه، فقال: إنما لم أفسر لك معنى كلام هذا الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس كراهة أن ينتقلوا إليه فيعرفوه ويؤذوه، لم يقل الرجل: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، فيكون قد فضل أبا بكر على علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله أبا بكر. فجعله نداء لأبي بكر، ليرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء ليتوارى من شرورهم، إن الله جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا ومحبينا»[٢].

ثم يمضي صاحب البحار يذكر صورًا من الخداع والاحتيال، فهذا أحد الروافض يسأل، من خير الناس بعد رسول الله؟ فيبادر بالإجابة قائلًا: «أخير الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان» فلا يذكر أمير المؤمنين عليًّا، فيقول سامعوه: «إن هذا أشد تعصبًا للسنة منا قد غلطنا عليه».

لكنه يفصح عن مراده لخاصته فيقول: «إنما أردت أخْيَرَ الناس أي أهو خير؟ استفهامًا لا إخبارًا»، فقال له إمامه مثنيًا عليه على طريقته في خداع أهل السنة: «قد شكر الله لك بجوابك هذا لهم، وكتب لك أجره، وأثبته لك في الكتاب الحكيم، وأوجب لك بكل حرف من حروف ألفاظك بجوابك لهذا لهم ما يعجز عنه أماني المتمنين ولا يبلغه آمال الآملين»[٣].

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها (تاب).

(٢) بحار الأنوار ٧٥/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٣) المصدر السابق ٧٥/ ٤٠٥.

وهذا رافضي آخر يبلغ به الأمر إلى أن يلقن الجواب فيستجيب للتلقين، ويطلب منه القَسَم على صدقه فيقسم القسم المغلظ على ذلك، ولكنه في الحقيقة يكذب، أما كيف يخادع ويحتال ويظهر الكذب بصورة الصدق فاستمع إليه يروي ويكشف طريقته في الخداع قائلًا:

«قال لي بعضهم: أجب عما ألقنك، قلت: قل، فقال لي: أتقول: إن أبا بكر بن أبي قحافة هو إمام حق عدل، ولم يكن لعلي في الإمامة حق ألبتة؟ فقلت: نعم ـ وأريد نعمًا من الأنعام الإبل والبقر والغنم ـ فقال: لا أقنع بهذا حتى تحلف، قل: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك، يعلم من السر ما يعلم من العلانية، فقلت: نعم ـ وأريد نعمًا من الأنعام ـ فقال: لا أقنع إلا بأن تقول: تقول: أبو بكر بن أبي قحافة إمام ـ إي هو إمام من أئتم به واتخذه إمامًا ـ والله الذي لا إله إلا هو.. ومضيت في صفات الله، فقنعوا بهذا مني وجزوني خيرا ونجوت منهم»[١].

ثم يسأل إمامه عن حاله بعد هذه التقية التي هي في مقاييسهم تسعة أعشار الدين (لأنها خداع للمسلمين) قائلًا: «فكيف حالي عند الله؟ قال: خير حال، قد أوجب الله لك مرافقتنا في أعلى عليين لحسن تقيتك»[٢]. ثم يذكر بعض تعاليمهم طريقة للقسم الكاذب أمام أهل السنة فتقول لكل شيعي: «فإذا قالوا ـ أي أهل السنة وقضاتهم ـ قل: والله، فقل: والله[٣]، ولكن تريد به، وليٌّ في أمر كذا، فإنهم (أي أهل السنة) لا يميزون».

ثم يقول تعليمهم: «فإن تنبه السني إلى أنك لم تنطق الهاء، وقال لك:

---

(١) البحار ٧٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق ٧٥/ ٤٠٦.

(٣) كذا في المصدر السابق، ولعلها (ولي) بدليل ما بعده.

«قل والله وبين الهاء» ـ فعليك حينئذ أيها الشيعي أن تسلك مسلكًا آخر في الخداع فتقول: «والله برفع الهاء فإنه لا يكون يمينًا إذا لم تخفض الهاء»[(١)].

ويقول أحد الروافض بأنه أرشد أحد أصحابه لتطبيق هذا البروتوكول فطبقه تمامًا.. وتم نقل ذلك لإمامهم.. فأثنى عليهما معًا قائلًا: «الدال على الخير كفاعله، وقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا ومواليا ومحبينا حسنة، وبعدد من ترك التقية حسنة، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك لإرشادك إياه مثل ماله»[(٢)].

انظر إلى توجيه الأتباع إلى خداع أهل السنة بشتى الوسائل، وتأمل كيف يعدون هذا الصنيع كفيلًا بمغفرة ذنوبه طيلة حياته كلها وأكثر من ذلك.

على أن هذه التعاليم لا يلزم التقيد بها في كل حالة، إذ لو أقسم بلا تورية تقية ومخادعة لم يخرج عن دائرة التقية فقالوا: «إذا حلف الرجل بالله تقية لم يضره، وبالطلاق والعتاق أيضًا لا يضره..»[(٣)].

وبروتوكول التقية يلزم تطبيقه لكل شيعي يعيش في ظل دولة غير شيعية، ولذلك قالوا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية»[(٤)].

ولا أمد لانتهاء العمل بها بل يستمر توظيفها في التعامل مع الآخرين، إلى أن يخرج منتظرهم المزعوم ويجبر الناس بقوة الحديد والنار على الدخول في سلكهم والأخذ بمعتقدهم، ولذلك قال ابن بابويه في كتابه الاعتقادات:

---

(١) بحار الأنوار ٧٥/ ٤٠٦، تفسير الحسن العسكري ١٤٥.

(٢) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٣) بحار الأنوار ٧٥/ ٤١١.

(٤) جامع الأخبار ١١٠، بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٢.

«والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله ـ تعالى ـ وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة»[(١)].

والتقية عندهم بمنزلة الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام، قال ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»[(٢)] ـ كما مر ـ.

ومسألة التقية أو البراءة الصامتة يعدونها في المنزلة والأجر والأهمية تالية للبراءة العلنية، ولذا يقولون: «أعظم فرائض الله عليكم بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائنا استعمال التقية..»[(٣)].

والدعوة في نصوصهم إلى العمل بالتقية تأخذ ألوانًا من الترغيب وأشكالًا من الترهيب، فترك التقية يوصف مرة بأنه كترك الصلاة[(٤)]، وحينًا بالذنب الذي لا يغفر[(٥)]، ومرة ثالثة بأن من تركها فقد خرج عن دين الإمامية فيقولون: «ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية»[(٦)]، «عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعل شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره»[(٧)].

وحينا يوصف تاركها بأنه لا دين له ولا إيمان.. «لا دين لمن لا تقية

(١) الاعتقادات ١١٤ ـ ١١٥.
(٢) المصدر السابق ١١٤.
(٣) بحار الأنوار ٥٧/ ٤٩، تفسير الحسن العسكري ٢٣٨.
(٤) انظر: جامع الأخبار ١١٠، بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٢.
(٥) انظر: بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٥.
(٦) أمالي الطوسي ١/ ٢٨٧، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٥.
(٧) أمالي الطوسي ١/ ٢٨٧، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٥.

له»[١]، «لا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله عز وجل أعملكم بالتقية قبل خروج قائمنا، من تركها قبل خروج قائمنا فليس منا»[٢].

وفي مجال الترغيب تتنوع الصور، فهي مرة أفضل عبادة لله (ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخب) (يعني التقية)[٣].

وهي طريقة المرسلين أجمعين «عليك بالتقية فإنها سنة إبراهيم... (و) موسى وهارون..»[٤].

وهي أحب شيء إلى أهل بيت رسول الله ولزومها سبب العزة والإعراض عنها سبب الهوان، عن حبيب بن بشر قال: «قال لي أبو عبد الله: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله..»[٥].

«وتسعة أعشار الدين في التقية»[٦].

و «لا خير فيمن لا تقية له»[٧].

«ما من شيء أقر لعين أبيك من التقية..»[٨].

وإنما فضل الأتقياء بالتقية «إن الأنبياء إنما فضلهم الله على خلقه بشدة

---

(١) الخصال ١/ ١٤، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٤.
(٢) كمال الدين لابن بابويه ٢/ ٤٢، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٦.
(٣) معاني الأخبار ١٦٢، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٦.
(٤) انظر: معاني الأخبار ٣٨٦، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٦.
(٥) المحاسن ٢٥٦، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٨.
(٦) المحاسن ٢٥٩، بحار الأنوار ٧٥/ ٤٠٧.
(٧) علل الشرائع ١/ ٤٨، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٩.
(٨) المحاسن ٢٥٧، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٨.

مداراتهم لأعداء الله وحسن تقيتهم..»[(١)].

والرافضي مدعو في ظل أحكام التقية الدائمة إلى مشاركة عموم المسلمين في صيامهم وصلاتهم وأعمالهم، مع البراءة منهم ومن أعمالهم في الباطن، قالوا: «نُهَى الله التي صاحبها فيها الخيار، فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر وليًا ثم مَنَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله، ويظهر له استعمال ذلك، موسعًا عليه فيه، وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأمة، فالله تعالى قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨] فهذه رخصة تفضل الله بها على عباده المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر»[(٢)].

فهو مدعو لأن يصلي بصلاتهم والاقتداء بهم «من صلى خلف المنافقين تقية كمن صلى خلف الأئمة»[(٣)].

والبراءة تقتضي البعد عن الدخول في أعمال الحاكمين إلا بشرط إضمار نية النفع للروافض أجمعين، وهو ما يسميه خميني بالدخول الشكلي في الحكومات، يعني مع البراءة منهم والمعاداة لهم في الباطن، ولذلك أثنى على علي بن يقطين في كتابه (الحكومة الإسلامية) لدخوله الشكلي ـ كما

(١) بحار الأنوار ٧٥/ ٤٠١.

(٢) بحار الأنوار ٧٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) بحار الأنوار ٧٥/ ٤١٢.

يعبر ـ في الدولة الإسلامية لنصرة الإسلام والمسلمين[١]، يعني الروافض ومذهبهم.

وعلي بن يقطين هذا الذي يشير إليه خميني هو أحد وزراء هارون الرشيد المتبرقعين بالتقية، ولكنه انكشف أمره، فقد ذكر الطبري أنه قُتل على الزندقة[٢]، كما كشفت وثائق الروافض أن ابن يقطين هذا هو الذي قتل في ليلة واحدة (٥٠٠) مسلم، فقد ذكر شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) هذه الجريمة المروعة مفتخرًا بها فرحًا جذلًا[٣].

وتزعم كتب الرافضة أن الرئيس السري لخليتهم كان يُوصي علي بن يقطين بعدم التخلي عن منصبه بأي حال: «عن علي بن يقطين أنه كتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام: إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان ـ وكان وزيرًا لهارون ـ فإن أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه، فرجع الجواب: لا آذن لك بالخروج من عملهم»[٤].

مع أنهم يقررون أن من تعاون مع الحكام المسلمين الذي يصفونهم بالظالمين حشر معهم، يقولون: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوانهم؟ من لاق لهم دواة أو ربط لهم كيسًا أو مدَّ لهم مدَّة قلم فاحشروهم معهم»[٥].

والتعاون مع الحكام المسلمين بدون إضمار الكيد لهم والتربص بهم

---

(١) انظر: الحكومة الإسلامية ١٤٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٩٠.

(٣) انظر: الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٨.

(٤) قرب الإسناد ١٢٦، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٧٠.

(٥) ثواب الأعمال ٢٣٢، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٧٢.

ونية نفع الرافضة والإضرار بمخالفيهم هو عديل الكفر، يقولون: «الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر»[(١)].

ولكن يمكن للرافضي أن يعيش مع أهل السنة وكأنه منهم عقيدة ومسلكًا، وذلك بمقتضى عقيدة التقية.

ولذا يرى بعض أئمة السنة أن أصحاب عقيدة التقية هم شر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن ما يظهرون من دين الإسلام هو الباطل، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة[(٢)].

والتقية عند هؤلاء مع المسلمين لا مع الكافرين، بل بلغ الأمر بهم أن تقيتهم ترتفع في مخاطبتهم للزنادقة والملحدين، وتبقى وتقوى في تعاملهم مع المسلمين، كما جاء في خبر الزنديق الذي ذكره صاحب الاحتجاج كما سلف، كما أنهم يرون أن عصر الخلافة الراشدة وفترة القرون المفضلة هي عهد تقية ومصانعة، كما قرر ذلك شيخهم المفيد ـ كما مر ـ .

ويؤكدون أن تعاملهم مع الصفوة المختارة من المسلمين وهم أهل السنة يجب أن تكون وفق بروتوكول التقية الخادع والمصانعة الكاذبة، وقد بوب لذلك شيخهم الحر العاملي بابا بعنوان (باب وجوب عشرة العامة «أهل السنة» بالتقية) ـ كما سبق ـ .

---

(١) تفسير العياشي ١/ ٢٣٨، بحار الأنوار ٧٥/ ٣٧٤.

(٢) انظر: رسالة في علم الظاهر والباطن لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) ١/ ٢٤٨.

المبحث الثالث:

البراءة الناطقة

وأعني بها التصريح بالبراءة أو أصلها وهو التكفير، وهو أيضًا يأخذ ألوانًا من التعبير، فحينًا يصرحون بالتكفير لأمة الإسلام بلا خفاء، وقد يصحب التكفير موجات من السب واللعن والطعن، وتارة يتوارى التكفير وتختفي البراءة ويستتر السب واللعن للصحابة ومن اتبعهم بإحسان ـ يتوارى ذلك خلف واجهات خادعة وشعارات مضللة، فهو تكفير لأعداء أهل البيت، وسب ولعن للظالمين لأهل البيت، وطعن بأعداء الإسلام والمسلمين، والحقيقة واحدة إذ إن المقصود بذلك كله بغض وسب صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، متناولة لكل الفئات المختارة من أئمة الإسلام، حيث تتناول الخلفاء والأئمة والقضاة والعلماء والصحابة والقرابة، بل وتمتد لتنال الفرق الإسلامية وأمصار المسلمين وسائر أمة محمد ﷺ أجمعين، ولا يستثنون إلا بعض أقزام التاريخ وشذاذ الآفاق من الملاحدة والفاسقين وأعداء الإسلام والمسلمين ـ كما سيأتي ـ والحقيقة تظهر لكل ذي عينين بمراجعة أمهات كتبهم المعتبرة ونصوصهم المقدسة عندهم.

وقد استغرب الكثير من علماء المسلمين وعامتهم مسألة البراءة من المشركين الصادرة من شيعة هذا العصر ـ أعني الإمامية الاثني عشرية طائفة الرافضة الكبرى في عصرنا ـ وإعلانها في مكة وهي دار الإسلام، ورفعها بين الحجيج وهم من المسلمين الموحدين، ولم يعلموا أن وراء الأكمة ما وراءها، وأن مصطلحات هؤلاء القوم غريبة عن المسلمين بل عن كل ما سوى خواص شيعتهم، وأن إعلانهم البراءة من المشركين الذي بدؤوا يرفعونه منذ

قيام دولتهم ومنذ بدء التنفيذ العملي لنظرية القول بعموم ولاية الفقيه هو مبدأ أصيل في المذهب الاثني عشري ـ كما سلف ـ وهو منبثق من تكفيرهم للأمة المسلمة.

وكل ما هنالك أن الموقف يتنوع حسب الأحوال والمقتضيات.. فمن براءة صامتة تتضمن المخالفة والمفاصلة الشعورية والكره والحقد الداخلي الذي لا يظهر إلا عند التمكن.. إلى براءة مبرقعة تستخدم مصطلحات خاصة ورموزًا معينة لا يدركها سوى العارفين من بني قومهم ومن كان على علم بأصول نحلتهم، كالبراءة من «فلان، وفلان، وفلان، أو حبتر وزريق، أو الشجرة الملعونة، أو الأوثان الأربعة» أو البراءة من الظالمين أو المشركين ونحو ذلك.. إلى براءة صريحة معلنة بالتكفير متشدقة بالسب واللعن الصراح.. إلى مرحلة أخطر ودرجة عملية أفظع تصل إلى إلحاق الأذى بالمخالف أو اغتياله أو سلب ماله.. وكل هذه الحالات تشهد لها عشرات النصوص في المعتمد من مصادر المذهب الرافضي.

أما نصوص التكفير فسيأتي ذكر طائفة منها حين الحديث عن الفئات التي يتبرءون منها، وقد نقل مفيدهم إجماع طائفتهم على تكفير جميع فرق المسلمين فقال: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[١].

وهم يريدون بأهل البدع ـ كما مر ـ كل من أثبت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان من جميع فرق الإسلام، أو من بايع خليفة من خلفاء المسلمين، أو من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر (ولو كان المنتظر الذي لم يولد أصلًا ولا حقيقة له في الوجود والذي يرون أنه هو إمام المسلمين منذ سنة

---

(١) أوائل المقالات ص ٥٣.

٢٦٠هـ، وإلى أن تقوم الساعة)، قال شيخهم ابن بابويه القمي في الاعتقادات المسمى بدين الإمامية: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين[١] والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم..»[٢].

وقال ابن بابويه أيضًا في كتابه الاعتقادات: «فمن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون (وهذا شامل لجميع خلفاء المسلمين حيث لا يستثنون منهم سوى علي والحسن رضي الله عنهما)، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون»[٣]. (وهذا يشمل جميع الشعوب الإسلامية التي بايعت خلفاء المسلمين أو رضيت بإمامتهم من لدن أبي بكر إلى أن تقوم الساعة، ويدخل فيهم المبايعون لأمير المؤمنين علي والحسن لرضاهم بخلافة من قبلهم).

ونصوصهم وأقوالهم في هذا الباب كثيرة[٤].

---

(١) وعندهم أن من أقرَّ بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فقد أنكر إمامة علي؛ لأن إمامته عندهم تبدأ من وفاة رسول الله ﷺ، ولذلك قال مفيدهم إن لقب الشيعة عندهم لا يطلق إلا على: «أتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والإعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدم في مقام الخلافة..». أوائل المقالات ص ٣٩.

(٢) الاعتقادات لابن بابويه ص ١١١، البحار للمجلسي ٢٧/ ٦٢.

(٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٤) انظرها في: مسألة التقريب ١/ ٣١٧ وما بعدها.

المبحث الرابع:

البراءة القاتلة
أو براءة القتل والتخريب والعدوان

أما مبدأ الإبادة الكاملة للمخالفين، والاستئصال الشامل (للأميين) فهو مرتبط في اعتقادهم بظهور مهديهم.. والمهدي لا حقيقة له؛ إذن هذا المبدأ لا وجود له.

ولكن ظهرت عند هذه الطائفة نظرية جديدة في القرن الثالث عشر على يد النائيني والنراقي، وهي تتضمن إخراج المهدي بصورة أخرى، وذلك حينما طرحا نظرية القول بعموم ولاية الفقيه الشيعي، والتي تعني نيابته الكاملة وقيامه بجميع أعمال مهديهم في فترة غيبته، وتم تطبيق هذه النظرية في عصرنا على يد خميني وأتباعه، ودافع عنها وأيدها بكل قوة في دروسه، وأصدر بشأنها كتابًا عنوانه: «الحكومة الإسلامية» يقرر فيه:

أن الوالي على المسلمين هو الفقيه الشيعي، وهو الذي يتولى جميع أعمال مهديهم في فترة غيبته بمقتضى اعتقادهم[1]، وأقام دولة وفق هذه النظرية.

وأعمال مهديهم في أمة محمد سوداء مظلمة، فهم يقولون بأنه بعث بالجفر الأحمر يعني القتل والدم، قتل عام شامل لأمة محمد، والأولوية بجفرهم الأحمر ـ لحجاج بيت الله الحرام والطائفين والعاكفين الركع السجود، حيث خصوهم بالسلب والنهب والقتل والاغتيال، فما هم في قاموس هؤلاء سوى

---

(١) انظر: أصول الشيعة ٣/ ١١٦٥.

قردة وخنازير ومشركين وظالمين إلا من تبرأ ممن تتبرأ الروافض منه.

ولنستمع لعرض لبعض مواد براءتهم القاتلة:

- **أولًا: الاغتيالات للمخالفين:**

١ ـ مبدأ الغيلة هو أساس في دين هذه الطائفة بل من التعاليم المقدسة؛ لأنها صادرة في اعتقادهم عن الأئمة المعصومين، والذين قولهم وعملهم هو المرجع والأساس في اعتقاد الطائفة وعملها ودلالتها وتعاملهم مع الآخر، ولنستمع لإمامهم ما تقوله تعاليمهم في هذا الشأن:عن داود بن فرقد قال: «قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: حلال الدم، ولكن اتقي عليك[(١)]، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»[(٢)].

فهو هنا يدعو إلى قتل الناصبي، والناصبي عندهم يشمل جميع الفرق الإسلامية بما فيها بعض فرق الشيعة المعتدلة[(٣)]، وهم الزيدية[(٤)]، ولا يستثنون سوى من يقول بمقالة الرافضة في الإمامة وهم عموم فرق الشيعة الإمامية، والجارودية من الزيدية.

وتراهم في النص السابق يقترحون بعض الأساليب في الاغتيالات التي تناسب ذلك العصر.. ولا ريب بأن وسائلهم وأساليبهم تتغير وتتطور على مر العصور، وأنهم سيستعينون بما تفتقت عنه حضارة العصر من أساليب

---

(١) يريد: أخشى عليك من سيف القصاص ولكن اقتله خفية بحيث لا يُعرف قاتله!!

(٢) علل الشرائع لابن بابويه ٢٠٠، ووسائل الشيعة ١٨/ ٤٦٣، بحار الأنوار ٢٧/ ٢٣١.

(٣) ليسوا معتدلين وعندهم من الاعتقادات الباطلة ما لا يخفى ولكن هذا الوصف نسبي أي بالنسبة إلى غلاة الروافض.

(٤) انظر: رجال الكشي ٥٢٩، وسيأتي شواهد لذلك في مبحث البراءة من الفرق الإسلامية.

جديدة في المكر والتآمر، ووسائل متطورة في التدمير والتخريب والقتل والاغتيالات، ولذلك تنصح نصوصهم السرية بقتل المخالفين بأساليب خفية يتعذر معها اكتشافهم»[(١)].

فتقول محذرة من القتل الظاهر المكشوف:

«أشفق إن قتلته ظاهرًا أن تُسأل لم قتلته؟ ولا تجد السبيل إلى تثبيت حجة، ولا يمكنك إدلاء الحجة فتدفع ذلك عن نفسك، فيُسفك دم مؤمن من أوليائنا بدم كافر، وعليكم بالاغتيال»[(٢)].

فهذه الزمرة لا تشفق على المسلمين من القتل، ولكن تشفق على ذلك الرافضي القاتل المجرم أن يصل إليه سيف القصاص حين يقتل مسلمًا ولا يجد حجة ولا مفرًا من الاعتراف لظهور أدلة القتل فتقتله الدولة الإسلامية قصاصًا كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ المائدة: ٤٥، ولذلك توصي هذه الزمرة بمبدأ الغيلة طريقة وأسلوبًا في التعامل مع المخالفين، وهم جميع المسلمين سوى طائفتهم..

ولا يخطر على بالك أن تدبيرهم وتدميرهم موجه لأعداء المسلمين، بل هو موجه لأهل الإسلام على سبيل الخصوص وحجاج بيت الله الحرام بوجه أخص.

• **ثانيًا: قتل الحجاج بين الصفا والمروة:**

يقول أحج نصوصهم في ذلك: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد

---

(١) ومن آخر الوقائع الخفية ما تلقته وسائل الإعلام حول تلوث واردات دولة الإمارات من الفستق الإيراني بمادة (افلانوكسين) السرطانية، وأن الأجهزة المختصة بالرقابة الغذائية في منافذ الدولة أعادت كميات من الفستق وغيرها من المكسرات الملوثة بالمادة المشار إليها، كما أنها قامت بسحب وإتلاف كميات ملوثة تم ضبطها في الأسواق (جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٨٦٥، الأحد جمادى الأولى ١٤١٨هـ).

(٢) المصدر السابق.

العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»[(١)].

انظر كيف صار قتل المسلمين الزائرين الطائفين القاصدين بيت الله أمنية يتمنونها وحلمًا ينتظرون تحقيقه.

فها هو إمامهم ـ أو قل: المسئول عن خلاياهم السرية ـ يطمئن رجلين من طائفته بأن الوقت قريب لتحقق القتل العام لحجاج بيت الله الحرام، ولا سيما الطائفين منهم حين طوافهم، ويحدد المكان وهو ما بين الصفا والمروة..

أيها المسلمون.. أي فئة تتربص بهؤلاء الحجاج العزل الأبرياء مثل هذا التربص؟ هل توجد طائفة تنتظر يومًا أسودًا بحجاج بيت الله الحرام مثل هذه الطائفة التي تدعي الإسلام والدفاع عن أهل البيت والتشيع لهم ومحبتهم! هل بلغ عدو حاقد متربص هذا المبلغ! وما بال أهل الإسلام غافلون عن الحقيقة ويتسامحون مع هذه الطائفة الحاقدة!

فهذه المادة القاتلة لحجاج بيت الله مدونة في المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب، ومؤلفه هو إمام الأئمة عندهم ومن يلقب بمخترع دين الشيعة.

هل هناك أصرح من هذا المبدأ؟ إنها براءة من حجاج بيت الله الحرام تصل إلى حد القتل والاستئصال.

وقد سجل التاريخ لأسلافهم القرامطة الرافضة القتل العام لحجاج بيت الله الحرام كما في حوادث سنة ٣١٧هـ، وفي عصرنا وبعد قيام الثورة الإيرانية بقيادة الآيات المنسوبة زورًا إلى الله حدثت حوادث مفجعة منهم تجاه حجاج

---

(١) بحار الأنوار ٥٣/ ٤٠.

بيت الله الحرام[(١)]، ولو تمكنوا لأعملوا في رقاب المؤمنين السيف، كما فعلوا في المسلمين في إيران حينما أجروا من دمائهم أنهارًا على أيدي حكامهم الصفويين.

إنهم لا يألون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وتآمرهم على الحجاج والمعتمرين يمتد ليشمل كل يد تمد لهم معونة أو تسدي لهم معروفًا، ويخصون المشرفين على خدمة الحرمين بوعيدهم وتهديهم، حتى إنهم يحلمون ويمنون أتباعهم

---

(١) ومن ذلك:

أ ـ إقدام بعض الرافضة الإيرانيين على إدخال خمس وتسعين حقيبة تحوي قواعدها متفجرات من نوع (سي فور)، وقد اعترف أحمد خميني في رسالة نشرتها صحيفة اطلاعات الإيرانية يوم ١١/ ١٠/ ١٤٠٩هـ بأن إيران أرسلت المتفجرات إلى المملكة العربية السعودية.

ب ـ ضبط مجموعة كبيرة من الروافض تعتزم الدخول إلى المسجد الحرام وأفرادها يحملون السكاكين والخناجر والآلات الحادة، وقد ضبط منها خمسة وثلاثون ألف آلة حادة بين سكين وخنجر شاهدها العالم آنذاك في شاشة الرائي (التلفاز) كما جرى بث صورها الفوتوغرافية إلى جميع وسائل الإعلام المقروءة في أنحاء العالم.

ج ـ التفجيرات الثلاثة التي وقعت في حج عام ١٤٠٩هـ وراح ضحيتها ستة عشر حاجًا بين قتيل وجريح.

وانظر القصة الكاملة لجريمة الرافضة في: مجلة الحرس الوطني، السنة الثامنة العدد (٥٩) محرم ١٤٠٨هـ بعنوان (عودة القرامطة) ملف مصور، وانظر التضامن الإسلامي (مجلة الحج سابقًا) السنة (٤٥) الجزء الخامس، ذو القعدة ١٤١٠هـ، وراجع قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم ١٤٦، وتاريخ ١١/ ٧/ ١٤٠٨هـ في هذا الشأن في مجلة البحوث الإسلامية عدد ذي الحجة، محرم، صفر عام ١٤٠٩هـ، ١٤١٠هـ.

ومثله بيان هيئة كبار العلماء في السعودية حول أعمال الشغب التي قام بها بعض الحجاج الإيرانيين في موسم حج عام ١٤٠٧هـ في مجلة البحوث الإسلامية، عدد ذي الحجة ١٤٠٧هـ ـ محرم، صفر ١٤٠٨هـ.

وانظر: وقائع المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الداخلية في المملكة العربية السعودية في مجلة التضامن الإسلامي، السنة الثانية والأربعون الجزء السابع محرم ١٤٠٨هـ.

وانظر: كلمة حول أحداث الحرم في مجلة البيان، العدد التاسع ربيع الثاني ١٤٠٨هـ.

بأن يومًا قريبًا آت يقطعون فيه الأيدي التي تعين والأرجل التي تسعى في هذا السبيل (خدمة الحجيج).

جاء في نصوصهم: أن من أعمال مهديهم (أو من يتولى النيابة عنه من شيوخهم بحكم قولهم الجديد بعموم ولاية الفقيه) بأنه «إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام.. وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة، وكتب عليها: هؤلاء سراق الكعبة»[١].

ونص ثان يقول: «كيف بكم (يعني الحجبة على الكعبة كما يعبر النص) لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعُلقت في الكعبة ثم يقال لكم: نادوا: نحن سراق الكعبة»[٢].

ونص ثالث يقول: «يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجًا، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادي مناديه: هؤلاء سراق الكعبة، ثم يتناول قريشًا فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف»[٣].

هذه النصوص موضوعة في القرن الثاني تقريبًا؛ لأنهم أسندوها إلى جعفر بن محمد المتوفى سنة (١٤٨هـ)، فهي موضوعة عليه في تلك الفترة، هذا إذا لم يكن السند موضوعًا من المتأخرين على المتقدمين كحال المتن المكذوب على جعفر، لكن على أية حال فإن هذه النصوص تكشف مدى الحنق والحقد المستكن في قلوب أصحاب هذه الطائفة تجاه فئة نذرت نفسها لخدمة بيت الله والقيام على خدمة حجاج بيت الله في القرون المفضلة، فإذا كان هذا حقدهم على أولئك الصفوة فإن حقدهم على من بعدهم أشد كما قال بعض

---

(١) الإرشاد للمفيد ص ٤١١، وانظر: الغيبة للطوسي ص ٢٨٢.

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٥٦.

(٣) الغيبة ص ٢٠٩.

السلف: «لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[١].

ولكن لِمَ يخصون أهل بيت الله والمشرفين على الكعبة وشئون الحجيج بقطع الأيدي والأرجل؟ هل لأنهم يخدمون بيت الله ويحرسون المشاعر التي يعظم فيها ويوحد رب العباد؟ ويسوء هؤلاء هذا الأمر؛ لأن في ذلك إعلانًا للتوحيد وحماية لله وحراسة لبيت الله وتعظيمًا لشأنه، وهؤلاء الشرك دينهم والمشركون إخوانهم، وكربلاء كعبتهم، وبيت الله في اعتقادهم مجرد ذنب ذليل مهين لكربلاء[٢]... (شاهت الوجوه وخرست الألسن، وخاب وخسر من يتطاول على بيت الله ويتآمر على حجاجه وزائريه).

أم أن الأمر راجع إلى عقيدة هؤلاء في ملكية أرض الله وأن الناس غاصبون لها، كما قرر لهم ذلك صاحب الكافي في باب عنوانه: (باب أن الأرض كلها للإمام)[٣]، ولهذا نعتوا المشرفين على بيت الله (بسراق الكعبة).

على أية حال فهذه إفرازات حقد كبير كامن في نفوس طائفة ترى في بيت الله منافسًا لمشاهدها ومزاراتها، وترى في أهله وقاصديه وحاكميه الشرك والظلم والكفر، بل إنهم أكفر في اعتقادهم من اليهود والنصارى.

كما قرر ذلك علّامتهم (الذي إذا أُطلق لقب العلّامة عندهم لا ينصرف إلا إليه أعني ابن المطهر الحلي الذي رد عليه شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية) بقوله: إن «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف

---

(١) الإبانة لابن بطة ص ٤١.

(٢) وسيأتي ـ إن شاء الله ـ نصه في الفصل السادس.

(٣) انظر: أصول الكافي ١/ ٤٠٧.

الخاص»[١]، يعني أن من لم يؤمن بأئمتهم الاثني عشر ـ وهم جميع المسلمين سوى شيعتهم ـ أكفر عندهم من اليهود والنصارى، لأن اليهود والنصارى قد أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي لطف خاص، أما سائر المسلمين فقد أنكروا إمامة أئمتهم أو بعضهم، والإمامة لطف عام فمنكره أعظم كفرًا.

- **ثالثًا: استحلال أموال المسلمين:**

ومن مواد براءة القتل والتخريب أن أموال الإسلام ـ في اعتقاد هؤلاء ـ مباحة لا حرمة لها، فيحق لكل شيعي أن يستولي عليها بلا تحرج أو تأثم كلما وافته فرصة في سرقة خفية عند العجز أو اغتصاب حين القوة، وله أخذها، حين العثور عليها وملكيتها بلا شرط، كما أن له الاستيلاء عليها بحيلة أو خداع أو دعاوى باطلة.

بل إن النص المقدس عندهم يأمر الشيعي بأخذ مال المسلم المخالف لهم حيثما وجده فيقول: «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»[٢].

والناصب هو من يرتضي إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، وهم جميع المسلمين سوى الروافض، ولذلك فإن الزيدية مع أنهم يعدون من الشيعة هم في مقاييس هذه الطائفة في عداد النواصب فكيف حال سائر المسلمين عندهم؟

جاء في أخبارهم عن عمر بن يزيد قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية؟ فقال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم

---

(١) الألفين: ص ٣.

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي ١/ ٣٨٤، السرائر لابن إدريس ٤٨٤، وسائل الشيعة للحر العاملي ٦/ ٣٤٠.

من الماء إن استطعت. وقال لي: الزيدية هم النصَّاب»[١].

وذلك لأن زيد بن علي ترضى عن الشيخين، ومن هنا فإن شيخهم الطوسي يرد روايته[٢] مع أنه من أئمة أهل البيت، وقد نص أئمة السنة على أنه من الثقات، وأخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه[٣]، ولكن هؤلاء يرفضونه كما فعل سلفهم من الرافضة، وكذلك يلحقون به في الحكم سائر فرق الزيدية كالصالحية أو البترية والسليمانية أو الجريرية الذين سلكوا مسلكه في الرضا بخلافة الشيخين والترضي عنهما ويخرجونهم من زمرة التشيع كما نص على ذلك شيخهم المفيد[٤].

هذا وتقرر نصوصهم بكل صراحة أن مال المسلم وجميع ممتلكاته مباحة للشيعي، فإذا تمكن من الاستيلاء عليها بأي وسيلة فلا يتردد في تملكها فهم يقولون: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[٥]؛ لأنه عندهم في حكم الكافرين، بل جميع فرق المسلمين تأخذ هذا الحكم الجائر الظالم.

يقول شيخهم المفيد الملقب عندهم بركن الإسلام وآية الله الملك العلام: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار»[٦]، وبوب المجلسي لذلك بابًا بعنوان: (باب كفر المخالفين والنصاب)[٧].

وجاء في كتب الفقه عندهم: «إذا أغار المسلمون (يعنون الروافض) على

---

(١) رجال الكشي ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، رقم ٤٠٩.
(٢) انظر: الاستبصار للطوسي ١/ ٦٦.
(٣) انظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٧٦، الخلاصة للخزرجي ص ١٢٩، الكاشف ١/ ٣٤١.
(٤) انظر: أوائل المقالات للمفيد ص ٣٩.
(٥) تهذيب الأحكام للطوسي ٢/ ٤٨، وسائل الشيعة ١١/ ٦٠.
(٦) أوائل المقالات ص ١٥.
(٧) بحار الأنوار ٧٢/ ١٣١.

الكفار (وقد علمت أن جميع فرق المسلمين عندهم في عداد الكفار) فأخذوا أموالهم فالأحوط بل الأقوى إخراج خمسها من حيث كونها غنيمة، ولو في زمن الغيبة، وكذا إذا أخذوا بالسرقة والغيلة»[١].

و «لو أخذوا منهم بالربا أو بالدعوى الباطلة فالأقوى إلحاقه بالفوائد المكتسبة، فيعتبر فيه الزيادة عن مؤنة السنة، وإن كان الأحوط إخراج خمسه مطلقًا»[٢].

فأنت ترى أنهم من خلال هذا النص يبيحون الاستيلاء على أموال المسلمين بالإغارة والسرقة والغيلة، ويستحلون أخذ أموالهم عن طريق الربا والدعاوى الباطلة، وهذا ما تترجمه الأحداث والوقائع.

ولذا قال الشوكاني: «لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة»[٣].

ويقول: «وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدرون على ظلمه كائنًا من كان فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقراء والتتبع فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه»[٤].

- **رابعًا: القذف العام لحجاج بيت الله الحرام:**

ومن مواد براءتهم قذف حجاج بيت الله بالفواحش، حيث يوصم حجاج

---

(١) اليزدي، العروة الوثقى (وبهامشه تعليقات مراجع الشيعة في العصر الحاضر) ٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٦٨، وانظر: هداية العباد، ش... ١٦٨.

(٣) طلب العلم ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤) المصدر السابق ص ٧٤.

بيت الله الحرام في كتب الروافض المعتمدة بأنهم «أولاد زناة»، «أولاد بغايا»، «قد ركبتهم شياطين الجن وفجروا بهم ذكورًا وإناثًا وصغارًا وكبارًا»، وحينًا يصفونهم بأنهم قردة وخنازير.

تقول نصوصهم:

«إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار الحسين بن علي عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، لأن في أولئك (يعني حجاج بيت الله) أولاد زناة وليس في هؤلاء أولاد زنا»[(١)].

فأنت ترى أنهم في هذا النص يرمون جميع حجاج بيت الله من غير شيعتهم بأنهم أولاد زنا، ولذا استثنوا زوار الحسين من هذا القذف، فكل مسلم غير شيعي هو ابن زنا في قاموس هؤلاء المدعين للتشيع[(٢)].

وجاء في الكافي: «إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا»[(٣)].

---

(١) الوافي، المجلد الثاني ٨/ ٢٢٢.

(٢) ويلاحظ أيضاً في هذا النص أمور:
أولاً: أنه يتضمن دعوة أتباعهم إلى جمع كربلاء - لا إلى حج بيت الله الحرام، وقد كان لهذه الأساطير أثرها عليهم حتى قال أحدهم بعد سماعه الدعاء لزوار قبر الحسين: «والله لقد تمنّيت أني زرته ولم أحج»!! وسائل الشيعة ١/ ٣٢١، فروع الكافي ١/ ٢٣٥، ثواب الأعمال ص ٣٥.
ثانياً: أنهم وقّتُوا (افتراءً على الله) تحقق النظر الإلهي لمن قصد كربلاء عشية عرفة إمعاناً في صرف الناس عن إدراك الحج الذي يُدرَك بعرفة.
ثالثاً: أنهم خصوا هذا الفصل الذي زعموه لمن يقيم مظاهر الشرك عند قبر الحسين لا لمن يتوجه بالتلبية والتوحيد إلى رب الحسين.
رابعاً: ثم رموا بتلك الفاحشة أصحاب الموقف في عرفات من حجاج بيت الله الحرام الذين توالوا وتتابعوا على حج بيت الله منذ ظهرت النابتة الخبيثة إلى أن تقوم الساعة.
ويقال لهؤلاء الروافض المفترين: إن من يسقط في دنس المتعة الدورية، وعارية الفرج، واللواط بالنساء هم إلى هذه الوصمة أقرب وبها ألصق من أهل التوحيد والعفاف كما قلنا.

(٣) الكافي، كتاب الروضة ص ١٣٥، لكنو ١٨٨٦م. بحار الأنوار ٢٤/ ٣١١.

وعقد المجلسي في بحاره بابًا في ذلك جعل عنوانه: (باب أنه يُدعى الناس بأسماء أمهاتهم إلا الشيعة) وذكر فيه اثني عشرة رواية[١].

بل بلغ من وقاحة هؤلاء وحمقهم أن رموا المسلمين جميعًا ببائقة غريبة وفاحشة فظيعة، وهي أن الشيطان قد ارتكب اللواط مع ذكورهم وفجر بإناثهم فقالوا: «ما من مولود يولد، إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبونا، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة»[٢].

هذا قذف شنيع للمسلمين جميعًا من فئة لعلها أقرب إلى بعض هذه الأوصاف، وذلك بحكم الفوضى الجنسية الموجودة في ملتها: من متعة، ومتعة دورية، وعارية فرج، ولواط بالنساء، وصدقة بالفروج... إلخ.

فهو كقول القائل: رمتني بدائها وانسلت..

- **خامسًا: براءتهم من مشاعر المسلمين ومقدساتهم:**

ومن أنواع براءتهم المعتدية الغادرة ما يخططون له ويزمعون القيام به ضد مقدسات المسلمين، وهي براءة تأخذ صورة العدوان على بيت الله الحرام والمسجد النبوي.

وهذه البراءة العملية التخريبية لأقدس مقدسات المسلمين مدونة في مصادرهم المعتمدة، والذي سيتولى القيام بها ـ حسب نصوصهم أو قل أساطيرهم ـ هو مهديهم المنتظر، ولذلك فإنها لم تعرف بصورتها العلنية

---

(١) بحار الأنوار ٧/ ٢٣٧.

(٢) تفسير العياشي ٢/ ٢١٨، البرهان ٢/ ١٣٩.

الكاملة لدى سابقيهم، لأنها من أعمال مهديهم المنتظر، ولا يسوغ القيام بها إلا بعد ظهوره، وهو لم يظهر بعد ولن يظهر؛ لأنه لا حقيقة له ولا وجود..

ولكن حدث تطور خطير في دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، بدأت شرارته في القرن الثالث عشر، وجرى تبنيه وتطبيقه في عصرنا، ذلك هو قيام شيوخ الشيعة بتولي النيابة الكاملة والخلافة التامة عن مهديهم المنتظر ـ كما ذكرنا ـ ومهديهم عندهم والذي هو في الحقيقة وهْم لا وجود له، أعماله خطيرة وأهدافه رهيبة، يكفي أنه بُعث كما يقولون (بالجفر الأحمر) وهو القتل والتخريب والعدوان.. كما سلف.

إذن صورة البراءة من مقدسات المسلمين تتمثل في عمليات تخريبية منها:

***هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي:**

يقولون: في نصوصهم: «إن القائم (يعني مهديهم المنتظر) يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أساسه»[1].

فهم يتبرءون من حَرم الله وحرم رسوله، لأنهما لم يُبنيا على الأُسس التي يريدون أو هكذا يتذرعون ويحتالون للاعتداء على المقدسات الإسلامية، فهم يتمنون اليوم الذي يأتي ويهدم فيه بناء أشرف بقعة وأقدس موقع بدعوى ردهما إلى أساسهما...

فهم لا يريدون لأمة الإسلام أن تجتمع، ولا مشاعر المسلمين ومقدساتهم أن تحظى بالعمارة والتوسعة، ولا لحجاج بيت الله وزوار مسجد رسول

---

(١) الغيبة للطوسي ص٢٨٢، بحار الأنوار ٥٢/ ٣٣٨.

الله ﷺ الراحة والأمن والاستقرار، ولا لدين الله عز وجل الغلبة والظهور، فهم وضعوا مشاهدهم ومزاراتهم من كرب وبلاء ليصرفوا المسلمين عن قبلتهم ومشاعرهم، فلما لم يكن لمساعيهم في ذلك إلا البوار تمنوا هدم الحرمين المقدسين، كحال أصحاب الفيل الذي جعل الله ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ الفيل: ٢ ـ ٥.

ولكن تبقى هذه الأماني والوعود من هذه الطائفة لأتباعها عارًا عليها وفضيحة لها أبد الدهر، فهي تكشف ما تضمره قلوبهم وتنطوي عليه جوانحهم تجاه الديار المقدسة، وإلا فإن كيدهم في بوار وسعيهم في تباب، ولا يظن القارئ أن هذه الوعود الخطيرة حول الحرمين هي من مدونات الشيعة البائدة فيبوءون بإثمها، بل هي مسجلة في مصادر يعدها شيعة هذا العصر مصادر معتمدة لهم في التلقي يستمدون منها اعتقادهم وأقوالهم وأعمالهم يقوم عليها دينهم.

ولذلك فإن آياتهم في هذا العصر يتنبئون بحدوثه، بل ويقررون وقوعه، يقول شيخهم المعاصر محمد الصدر: «إنه (يعني مهديهم) سيقوم بتقليص حجم المسجد الحرام وإرجاعه إلى أُسسه، وبذلك لا تبقى ربع المسافة التي عليها المسجد الحرام في العصر الحاضر، وخاصة بعد التوسعات الضخمة التي أُدخلت عليه أخيرا[1] »[2].

ثم يكشف شيخهم الصدر ـ بكل صراحة ـ هدفهم من هدم المسجد الحرام، وأنه منع المتطوعين من الطائفين والزائرين والعابدين، فيقول

---

(١) هذا التقرير قبل التوسعة السعودية الهائلة في عهد خادم الحرمين الشريفين كما يدل عليه تاريخ طبع الكتاب.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور ص٨٢٨.

(بالحرف): إن مهديهم يقوم بـ «منع الطواف المستحب»، هكذا لم يجرأ أن يصرح بمنع الطواف كلية، مع أن نصهم السابق الذي يقرر قيامهم بقتل الحجاج والمعتمرين بين الصفا والمروة يؤكد هذا الهدف، وأن المنع يتم بقوة الحديد والنار تجاه مسلمين عزل جاءوا للحج والعمرة.

ثم يقول: «فتعطى القدمة[١] لصاحب الفريضة، وبذلك يقل عدد الطائفين بالبيت إلى حد كبير».

هذا التفسير لم يأت به نصهم، ولكنه محاولة من شيخهم المعاصر لتخفيف وقع النص الخطير ـ الذي يتضمن هدم الحرمين ـ على القارئ، ومع ذلك فقد صرح بالهدف وهو تقليص عدد الطائفين بالبيت إلى حد كبير، مع أنهم لما حُدد عدد الحجيج لأغراض تنظيمية وأمنية وضرورة ملحة من أجل سلامة الحجاج وراحتهم هاجوا وماجوا...

إذن الهدف بكل صراحة محاربة مقدسات المسلمين والكيد لزوارها وقاصديها...

*** ثانيًا: نزع الحجر الأسود:**

بل يتجه الرافضة إلى الحجر الأسود وهو المشروع استلامه وتقبيله فيخططون لانتزاعه والعدوان عليه، بل يعدون أتباعهم بحتمية وقوع ذلك فيقولون: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل ما لم يحب أحد من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم.. ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه».

هكذا ينفثون في روع أتباعهم فضل مشاهدهم، ويوحون إليهم زورًا

(١) يريد: يعطي الأولوية أو الأحقية.

وبهتانًا بأنها مواطن صلاة الأنبياء ومواضع عباداتهم، فلسان حالهم يقول: ما لكم تتجهون إلى الكعبة وتَدعون النجف وكربلاء وهي مقصد الأنبياء، وسينتقل الحجر الأسود في مقتبل الأيام إليها ليوضع في مشاهدها، ولا يبقى للكعبة مزية ولا فضل.

وهكذا يدعون لمواطن الشرك وعبادة غير الله عز وجل والتي يسمونها المشاهد، ويزعمون لها الفضل على بيت الله، كبرت كلمة تخرج من أفواههم أو تسطرها أقلامهم ـ ولا يكتفون حتى يمنوا أتباعهم باختلاس الحجر الأسود من بيت الله ونصبه في مشاهدهم ومواقع الإشراك بالله عز وجل، وهكذا لما لم يتمكنوا أو يُمكَّنوا من إعلان شركهم في حرم الله راموا تخريب بيت الله ونهب الحجر الأسود منه وإقامته في مشاهدهم، وهذه النصوص هي أساطير أملتها أحلامهم المريضة، لكنها مع ذلك تكشف أهدافهم ومخططاتهم، إذ هي «إسقاطات» لرغبات مكبوتة ونوازع خفية لهذه الزمرة الحاقدة على المسلمين ومقدساتهم، وإعلان البراءة اليوم يخفي وراءه فيما يخفي هذه الرغبات السوداء والأحلام الحاقدة.

ومن قبل فعل أسلافهم في الحجر الأسود ما فعلوا، حيث اقتلعته القرامطة في أحداث سنة ٣١٧هـ، وحملوه إلى البحرين ثم نقلوه بعد ذلك إلى الكوفة[١]، وقد بقي في حوزتهم قرابة اثنتين وعشرين سنة، حتى تم استخلاصه من أيديهم ورُد بعد ذلك من الكوفة إلى مكة، على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابوري، شيخ نيسابور في عصره وأحد العباد المجتهدين والمتوفى (سنة ٣٦٢هـ).

---

(١) انظر: كتب التاريخ في حوادث سنة ٣١٧هـ وما بعدها، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

ولا يزال أحفاد هؤلاء الباطنيين تراودهم الأماني لتخريب بيت الله واقتلاع الحجر منه، وما محاولاتهم لإثارة الفتن في حرم الله مرات ـ في عصرنا ـ إلا إفصاح عما تكنه صدورهم، وتطبيق لما تنطق به نصوصهم، فهل من مُدَّكر؟ «ولا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين».

وإذا اتجهنا ناحية المدينة النبوية نجد أن أمانيهم السوداء وأحلامهم المتربصة (مع هدم الحرمين واقتلاع الحجر الأسود) لم تدعها دون تهديد ووعيد، فصبوا جام حقدهم على رسول الله ﷺ، وعلى خليفتيه الراشدين اللذين أقاما دولة الإسلام من بعده ونشرا دين الإسلام في العالمين، لقد بلغ من كيدهم وعظيم حقدهم على رسول الإسلام وعظماء الإسلام أنهم يمنون أتباعهم بهدم الحجرة النبوية مع هدم مسجد رسول الله ﷺ، ويتطلعون إلى نبش قبري عظيمي الإسلام الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولقد جاء على لسان أحد آياتهم في هذا العصر أن كل شيعي يترقب تحقق هذه الأحلام المريضة والأماني الحاقدة، حيث قال شيخهم وآيتهم حسين الخراساني: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين لآخر أن يومًا قريبًا آت يفتح لهم تلك الأراضي المقدسة»[١].

فهو يحلم بفتحها وكأنها بيد كفار، ذلك أن لهم أهدافهم المبيتة ضد الديار المقدسة، وحين قامت ثورة الآيات الأخيرة بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدروهم أكبر...

ففي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لثورة خميني ألقى أحد شيوخهم (د.محمد مهدي صادقي) خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة،

---

(١) الإسلام على ضوء التشيع ص١٣٢ ـ ١٣٣.

ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود»[١].. ثم ذكر بأنه حين تثبت ثورتهم على أقدامها سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وإلى أفغانستان[٢].

وهكذا يرى أن مكة ـ وهي تستقبل كل عام الحجيج من كل فج عميق ويرتفع عليها علم التوحيد ويأمن فيها كل معتمر وحاج ـ يرى أن هذا كوضع القدس الذي يحتله يهود، ووضع أفغانستان التي كان يحتلها الملاحدة الشيوعيون.. فأي هدف ينشده في السير إلى مكة؟ إنه ما أفصحت عنه نصوصهم التي تهدد بقتل الحجاج بين الصفا والمروة.

وقد نشرت مجلة الشهيد الإيراني ـ لسان حال علماء الشيعة في قم ـ في العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ، صورة تمثل الكعبة المشرفة وإلى جانبها صورة المسجد الأقصى المبارك وبينهما (يد قابضة على بندقية) وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[٣][٤].

هذا ما يقولون، وما يتمنون، عرضناه لكشف نواياهم وخططهم ضد

---

(١) تعد الرافضة جميع المسلمين أشد كفرًا من اليهود والنصارى، انظر ـ مثلًا ـ ما قاله شيخهم الملقب عندهم بالعلامة في كتابه «الألفين» ص٣.

(٢) أذيعت الخطبة من «صوت الثورة الإسلامية» من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م، وانظر: وجاء دور المجوس ص٣٤٤.

(٣) انظر: مجلة الشهيد، العدد المذكور، وانظر: جريدة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ، وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حيث يقول بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران الذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار...» انظر: «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد ص٩.

(٤) بروتوكولات آيات قم ص ٧٥ ـ ٧٦.

مقدسات المسلمين وما تنطوي عليه من عداء كبير وحقد ضخم دفين.. وإلا فإن لدينا وعدًا صادقًا، وخبرًا ثابتًا بأن مكة وما حولها محفوظة بحفظ الله عز وجل.

عن الحارث بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: «لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة»[١].

«وأخبر النبي ﷺ أن جيشًا سيخسف به لأنه يغزو الكعبة»[٢]. وأكبر فتنة في الدنيا منذ أولها إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال، وحرام عليه أن يدخل مكة ولا المدينة، ولا يلوثهما بأقدامه النجسة.

ونعلم علم اليقين أنه لما جاء أبرهة الأشرم بجيشه غازيًا الكعبة سلط الله تعالى عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وأنزل الله سبحانه في ذلك سورة تتلى إلى يوم القيامة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ الفيل: ١السورة.

ولذلك ستظل مكة بإذن الله عز وجل مأوى أفئدة المؤمنين ومقصد الحجاج والمعتمرين.

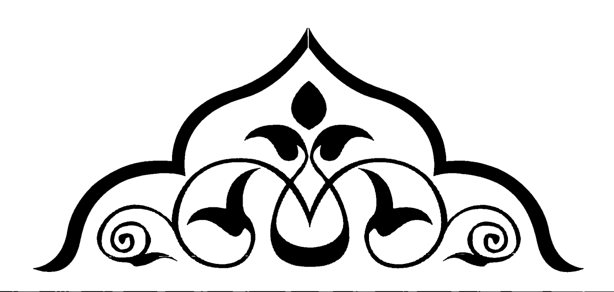
روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «ليُحجَّنَّ البيت وليعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»[٣].

❃ ❃ ❃

(١) رواه الترمذي (ح١٦١١) وسنده حسن.

(٢) رواه البخاري (ح٢٠١٢)، ومسلم (ح٢٨٨٢).

(٣) رواه البخاري (ح١٥١٦).



الفصل الرابع

ممن يتبرؤون؟

وفيه مباحث:

المبحث الأول: براءتهم من الصحابة.

المبحث الثاني: براءتهم من آل البيت.

المبحث الثالث: البراءة من حكام المسلمين وحكوماتهم.

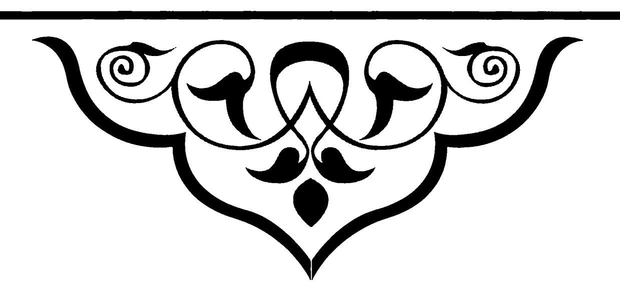
المبحث الرابع: البراءة من قضاة المسلمين وأحكامهم.

المبحث الخامس: البراءة من الفرق الإسلامية.

المبحث السادس: البراءة من أمصار المسلمين، والحكم بأنها دار كفر.

المبحث السابع: البراءة من أموات المسلمين.

المبحث الثامن: البراءة من أمة الإسلام جميعًا.



توطئة

المُراجع لكتب الاعتقاد والرواية والتفسير والرجال وغيرها من كتب الروافض المعتمدة عندهم يجد أنهم يتبرءون من الأمة على سبيل العموم، ومن أعيانها على وجه الخصوص، من حكام ومحكومين وأئمة ومتبوعين.

يبدءون بالبراءة من جماعة الصحابة رضوان الله عليهم بما فيهم خلفاء رسول الله ﷺ وآله وأزواجه وسائر أصحابه، ثم التابعين ومن بعدهم من خلفاء المسلمين وحكامهم على امتداد التاريخ، وكل من بايعهم أو اعتقد شرعية حكمهم، وقضاة المسلمين ومن رضي بقضائهم، وأئمة الإسلام ومن اقتدى بهم، وأمصار المسلمين وأهلها، والفرق الإسلامية غاليها ومعتدلها، وأمة الإسلام بأسرها، ولا يستثنون من ذلك إلا ثلاثة أو سبعة من جيل الصحابة، وثلاثة من جيل التابعين، وأفراد معينين أكثرهم من مشاهير الزنادقة والملحدين كما سيأتي في فصل: من يوالون؟

ونصوصهم في البراءة والتكفير واللعن والسب قد سودت مئات الصفحات من كتبهم، يستغرق ذكرها المجلدات، ويكفي لمعرفة ذلك الوقوف على عمدة كتبهم في الرواية وهو أصول الكافي، أو عمدة كتبهم في الرجال وهو رجال الكشي، أو أصل أصول التفاسير عندهم وهو تفسير القمي، أو المعتمد من كتبهم في العقيدة كأوائل المقالات للمفيد، والاعتقادات لابن بابويه، والاعتقادات للمجلسي وغيرها.

وهذه الفئات والطوائف وأولئك الأئمة والخلفاء الذين يكفرونهم ويتبرءون منهم يذكرونهم بالإشارة حينًا وبالتصريح أحيانًا، على حسب مقتضيات التقية ودواعيها..

كما يعطونهم ألقابًا مذمومة باتفاق المسلمين كلقب الظالمين أو المشركين، وللظلم والشرك والنفاق مفاهيمها الباطنية الخاصة عندهم ـ كما مر ـ .

المبحث الأول:

براءتهم من الصحابة

صحابة رسول الله ﷺ هم الذين رأوا النبي ﷺ وآمنوا به وماتوا على ذلك[1]، الذين لو لم يرد عن الله ورسوله ﷺ الثناء عليهم والترضي عنهم لكان في سيرتهم وعظيم جهادهم ما يكفي كل عاقل منصف لمعرفة قدرهم وإدراك فضلهم، ومع ذلك فهؤلاء الصفوة المختارة يُخصون بالبراءة عند الرافضة في نصوص تسبهم وتلعنهم وتكفرهم، ملأت بسطورها المظلمة كتبهم الغابرة والمعاصرة..

ذلك لأن الزنادقة الذين أسسوا هذا المذهب رأوا أنه لا سبيل إلى القدح في رسول الله ﷺ مباشرة فطعنوا في صحابته للوصول إلى مقصودهم حتى يقال: رجل سوء له أصحاب سوء، كما كشف عن هذا الهدف بعض السلف[2].

كما رأوا أنه لا يقبل منهم الطعن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهاجموا الناقلين لهما، ليصلوا إلى مرادهم، حيث إنه من أهم المعابر لإبطال المنقول الطعن في الناقل كما أشار إلى ذلك الإمام أبو زرعة[3].

ولما امتلأت قلوبهم حقدًا على ذلك الجيل القرآني الفريد لأنهم هم الذين فتحوا ديارهم وأطفئوا نار المجوسية في أرضهم، ولما لم يجدوا وسيلة لقهرهم ولا سبيلًا للوقوف أمام فتوحاتهم بعد أن راموا ذلك في أوقات شتى

---

(١) انظر: الإصابة لابن حجر ١/٦ ـ ٧.

(٢) وهو الإمام مالك.

(٣) انظر: الكفاية ص٤٩.

فلم يفلحوا رأوا أن كيده عن طريق الحيلة أنجع ـ كما يقول ابن حزم ـ، فحاولوا الدخول إلى قلوب الناس عن طريق التشيع لآل البيت، ورفع لواء محبة رسول الله وموالاتهم بعد أن رأوا تأثر الناس عمومًا بما حل بالآل كعلي والحسين وزيد بن علي وغيرهم، فوجدوا من يستمع لهم، فاتخذوا من التشيع مطية وستارًا لتحقيق أغراضهم، حتى صار التشيع مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله من ملحد وطاغوت وعدو للمسلمين.

وهذه نصوصهم وأقوال شيوخهم في النيل من صحابة رسول الله ﷺ شاهدة عليهم بذلك، وأقوالهم ونصوصهم في رفض طاعة خلفاء المسلمين ورفض الجهاد معهم والتعاون مع الأعداء ضدهم، وغير ذلك من ألوان وصنوف الكيد لأمة الإسلام ودينها ـ شاهدة على قدر عدائهم لأمة التوحيد، ولعله يكفي القارئ لإدراك حجم براءة الروافض من أولئك الأخيار من صحابة رسول الله ﷺ وقرابته وزوجاته استفاضة تكفيرهم في كتب هذه الطائفة.

حيث يكفرون المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين، ولا يستثنون منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وقد أصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

جاء في رجال الكشي أهم وأوثق كتاب عندهم في الرجال:

«ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد..»[1]، وفي الكافي: (أهم وأوثق كتاب لهم في الرواية عن أئمتهم الذين يدعون عصمتهم): «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد

(١) رجال الكشي ١١ ـ ١٢.

بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي..»[١].

وفي الكافي أيضا: «عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا!! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟[٢] فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة»[٣].

وهذا المعنى الأسطوري والزندقة المكشوفة التي تقول بردة أفضل جيل عرفته البشرية قد تردد وتكرر واستفاض أيضًا في كتب الروافض الأخرى على اختلافها كما في كتاب سليم بن قيس[٤] (الذي يعدونه أبجد الشيعة، وأول كتاب ظهر لهم، وهو موضع ثناء شيوخهم القدامى والمعاصرين) ـ كما ورد في البحار[٥] (المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب عندهم كما يقول شيخهم البهبودي)[٦]، وفي كتب التفسير عندهم كما في تفسير العياشي[٧]، والبرهان[٨]، والصافي[٩]، وتفسير نور الثقلين[١٠]، وغيرها، وهذه نصوص تحمل روايات عن معصوميهم.

كما جاء السب واللعن والتكفير في مصنفات شيوخهم، ولو نقلنا ما رأيناه من هذا الغثاء لبلغ مئات الصفحات.

---

(١) الكافي، كتاب الروضة (مع شرح جامع للمازندراني) ١٢/ ٣٢١.

(٢) إشارة إلى قلة الوجود الرافضي في القرون المفضلة.

(٣) أصول الكافي ٢/ ٢٤٤.

(٤) انظر: كتاب سليم بن قيس ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٥) انظر: بحار الأنوار ٢٢/ ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٤٠ إلخ.

(٦) انظر: مقدمة بحار الأنوار.

(٧) تفسير العياشي ١/ ١٩٩.

(٨) البرهان للبحراني ١/ ٣١٩.

(٩) تفسير الصافي للكاشاني ١/ ٣٨٩.

(١٠) تفسير نور الثقلين للحويزيني ١/ ٣٩٦.

وهذا الحكم بردة الصحابة إلا ثلاثة يشمل تكفير أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها لا تستثني منهم أحدًا، حيث لا ترى لعلي والحسن والحسين على سبيل الخصوص، ولا لآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وآل علي وزوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين على وجه العموم ذكرًا مع المستثنين من الردة كما سيأتي بيان ذلك، كما تشمل سائر صحابة رسول الله ﷺ باستثناء الثلاثة المذكورين، وقد تزيد أربعة آخرون لكنها لا تتجاوز ذلك فيما رأيت في المعتمد من كتبهم، وهي مقالة خرجت عن حدود المعقول والمنقول، ولا يقول بها إلا من كان من المعقول خارجًا وفي الجنون وفي الزندقة غارقًا، قد امتلأ قلبه عداوة وحقدًا على هذا الدين وأهله، ولذلك قال الأستاذ أحمد الكسروي الذي كان من شيوخ الشيعة، ثم تخلى عن دينهم لما رأى من تناقضه وفساد أصوله قال: «وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة منهم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان. فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله ثم ناصروه في حروبه ولم يرغبوا عنه بأنفسهم؟ ثم أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل احتمالًا: أُكذِّب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة أو ارتداد بضع مئات من خُلَّص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب»[١].

هذا ورواياتهم ونصوصهم التي تكفر الصحابة على سبيل العموم أو تتناول باللعن والسب والتكفير آحادهم على سبيل الخصوص كثيرة للغاية.. إنني الآن أمام زخم هائل وركام أسود من هذا اللون من الأساطير لا تخطر ببال من لم يخض غمارها أو يتوغل في ظلماتها لكنني سأكتفي بجمل من

(١) الشيع والشيعة ص ٦٦.

كلام شيوخهم المعاصرين ليدرك القارئ أن القوم لا زالوا في ضلالهم يعمهون وعلى خطى الغابرين يتيهون.

لقد تفرغ طائفة من شيوخهم في هذا العصر لهذا البهتان، فلا همّ لهم فيما يكتبون إلا سب رجال الصدر الأول وتجريحهم، وقد خرجت كتب لهم تفوق ما جاء في كتبهم القديمة في البذاء وسوء المقال، مثل كتاب «الغدير» لشيخهم المعاصر عبد الحسين الأميني النجفي، والذي ملأ كتابه باللعن والسب والتكفير لأشرف جيل.

ولقد كانت حملته وافتراءاته ضد صحابة رسول الله ﷺ ـ ولا سيما الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذي لم يَفْرِ في الإسلام فريه أحد ـ موضع اغتباط أعداء الإسلام، وقد استكتب هذا الرافضي أحدهم وهو بولس سلامة النصراني وصدر تقريظه في الجزء السابع مع كتابه، وأشاد هذا النصراني بحملة هذا الرافضي ضد صحابة رسول الله ﷺ ولاسيما الخليفة الراشد عمر كما يصرح هذا النصراني، وقد ابتهج ذلك الرافضي المغفل أو الزنديق المرتدي ثوب الإسلام بثناء هذا الكافر فبادله الثناء والشكر، وقال: أتاني من بحاثة المسيحيين القاضي الحر والشاعر النبيل الأستاذ بولس سلامة.. الخالد الذكر فشكرًا له ثم شكرًا[١].

فانظر إلى هذا الرافضي الذي يرمي الصحابة بكل مذمة ونقيصة يمتدح الكفار، ويتقرب إليهم، وهذه عادة الروافض من قديم الزمان.

ومثل كتاب الغدير كتاب «أبو هريرة» لآيتهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي الذي جعل فيه الصحابي الجليل راوية الإسلام أبا هريرة رضي الله عنه وأرضاه كافرًا منافقًا، في حين أنه يدافع بكل وسيلة وحيلة عن الكذابين والوضاعين

---

(١) الغدير ٧/ ٤.

أمثال جابر الجعفي[(١)] وهشام بن الحكم[(٢)] وغيرهما.

ومثله كتاب «السقيفة» لشيخهم محمد رضا المظفر الذي صور فيه الصحابة رضي الله عنهم عصابة مجرمة لا هدف لها إلا الكيد للإسلام وأهله، حتى قال ـ عليه من الله ما يستحق ـ : «مات النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد أن يكون المسلمون كلهم (لا أدري الآن)[(٣)] قد انقلبوا على أعقابهم»[(٤)].

وغير هذا كثير، حتى لا يكاد يخلو كتاب من كتبهم المعاصرة من هذا الغثاء والبلاء.

أضف إلى ذلك تلك الأدعية والأذكار التي يرددها الشيعة في مزاراتهم ومشاهدهم إلى اليوم، والمتضمنة لعن خيار هذه الأمة وروادها وأحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهاره وزوجاته أمهات المؤمنين وبقية الصحابة وسائر الأمة، وتسير كتبهم المعاصرة في الأدعية على خطى كتبهم الغابرة في هذا السبيل، كما تراه في «مفاتيح الجنان» لشيخهم المعاصر عباس القمي، و«ضياء الصالحين» لشيخهم محمد الجوهري وغيرهما.

زد على ذلك ما ينشره المعاصرون من كتب شيوخهم الأقدمين المليئة باللعن والسب والتكفير، بلا اعتراض عليها، بل بتأييد لما جاء فيها وإشاعة لها، وترويج لعفنها بين أهل دينهم.

أضف إلى هذا ما يشيع في واقعهم ويروج في مجتمعاتهم من تداول هذا البلاء، وقد نقل لنا من عاش في المجتمعات الشيعية المعاصرة في إيران

---

(١) انظر: المراجعات ص ٧٥.

(٢) انظر: المراجعات ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) ما بين القوسين من كلام الرافضي أيضًا كذا قال...

(٤) السقيفة ص ١٩.

والعراق، وتغلغل في أجوائها الخاصة، وحضر مجالسها ومحافلها وحلقات دروسها في البيوت والمساجد والمدارس ـ كيف أصبح اللعن والسب والتبري والتكفير لأفضل جيل يجري في عروقهم ويختلط بلحمهم ودمهم، حتى أصبح كالتسبيح والتحميد والتهليل لدى سائر المسلمين، فقال: «كان أول شيء أنكرته هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين: السيدة عائشة والسيدة حفصة، ولعن العصر الأول كافة، وكنت أسمع هذا في كل خطبة وفي كل حلقة ومجلس في البداية والنهاية، وأقرأ في ديابيج الكتب والرسائل، وفي أدعية الزيارات كلها، حتى في الأسقية: ما كان يسقي ساق إلا ويلعن، وما كان يشرب شارب إلا ويلعن، وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق علي ـ بزعمهم ـ وظلموه، حتى أصبح السب واللعن عندهم أعرف معروف، يلتذ به الخطيب، ويفرح عنده السامع وترتاح له الجماعة»[١].

وهذا الواقع الذي آل إليه الأمر في المجتمعات الشيعية هو إفراز عفن لتعليمات شيوخهم ومبادئ دينهم التي تدعو إلى ذلك بكل صراحة.

جاء في وسائل الشيعة (أحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الحديث): (باب استحباب لعن أعداء الدين عقب الصلاة بأسمائهم).

ومما ذكر فيه قوله: «روى الكليني عن ابن ثوير والسراج قالا: سمعنا أبا عبد الله رضي الله عنه وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعًا من النساء: فلانًا وفلان وفلانًا (الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم) ويسميهم، ومعاوية، وفلانة

---

(١) موسى جار الله شيخ مشايخ روسيا في كتاب الوشيعة ص ٢٧، قال ذلك بعد زيارة طويلة له لبلاد الشيعة.

وفلانة (عائشة وحفصة ﭫ) وهندًا، وأُم الحكم أخت معاوية»[١].

وفي مستدرك الوسائل (وهو من مصادرهم الثمانية المعتمدة لديهم) باب مماثل بلفظه للباب السابق وساق فيه جملة من رواياتهم ومنها: «عن أبي عبد الله أنه قال: من حقنا على أوليائنا وأشياعنا ألا ينصرف الرجل فيهم حتى يدعو بهذا الدعاء: اللهم.. ضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللَّذين كفرا نعمتك وخوفا رسولك وحلا عقده في وصيِّه، ونبذ عهده في خلفيته من عبده، وادَّعيا مقامه، وغيَّرا أحكامه، وبدَّلا سننه، وقلبا دينه، وصغَّرا قدر حجتك وحججك وبدأا بظلمهم، وطرقا طريق الغدر عليهم، والخلاف من أمرهم، والقتل لهم.. ومنعا خليفتك من سد الثلم، وتقويم العوج، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن، اللهم العنهما وابنتيهما، وكل مَن مال ميلهم وحذا حذوهم وسلك طريقتهم وتصدر ببدعتهم، لعنًا لا يخطر على البال، ويستعيذ منه أهل النار، اللهم العن من دان بقولهم، واتبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشك في كفرهم من الأولين والآخرين»[٢].

فانظر كيف لعنوا بهذه الكلمات المظلمة المسلمين جميعًا من الأولين والآخرين، والحكام والمحكومين، والصحابة والقرابة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وخصوا بهذا اللعن من أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ ونشرا دين الله في العالمين: صديق هذه الأمة وفاروقها، وعدوهما وجميع من اتبعهما (أي جميع المسلمين) من أعداء الدين، فأي دين يعتقده هؤلاء الذين يعدون صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان هم أعداء الدين؟ ليكن أي دين ونحلة إلا دين الإسلام، فإن هذه الزندقة المفضوحة تؤكد أن

---

(١) وسائل الشيعة ٤/ ١٠٣٧، فروع الكافي ١/ ٩٥، تهذيب الأحكام للطوسي ١/ ٢٢٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١/ ٣٤٢.

واضعها من أتباع تلك الديانات التي قضى عليهم الإسلام بقيادة أبي بكر وعمر وإخوانهما، رضوان الله عليهم أجمعين.

إذن الروافض لم يدعوا السب واللعن والتكفير، ولا يزال شيوخهم بهذا الضلال يهيمون، وبتلك اللعنات يهذون، وعوامهم على أثرها يهرعون يشتمون ويكفرون.

وأرادوا بعد قيام دولتهم أن ينقلوا هذا التكفير واللعن والسب ـ بوعاء جديد وقالب خادع هو مصطلح البراءة من المشركين ـ إلى مجتمعات المسلمين، واختاروا موسم التجمع الأعظم والمؤتمر الأكبر، علهم بهذه الوسيلة الماكرة أن يتمكنوا من خداع المسلمين بنقل هذا الوباء الشائع في المجتمعات الشيعية وكتبهم البدعية إلى دول المسلمين.

فهذا شعار مرفوع (أو محاولة لذلك) في جامعة شعوب المسلمين أرض المشاعر المقدسة وبيت الله الحرام، وفي اجتماع حاشد كبير لأداء ركن عظيم من أركان الإسلام، وسيتلو رفع هذا الشعار بث دعاتهم لتفسيره وفق التفسير الباطني الذي قدمناه من المعتمد من كتبهم فكأن التاريخ يعيد نفسه، وكأن الطور السبئي يرجع ليبث سمومه بين أهل الإسلام، ولكن ولله الحمد والمنة لم يمكن هؤلاء الروافض إلى اليوم ـ ولن يمكنوا بعد اليوم بمشيئة الله عز وجل ـ من رفع شعارهم ونشر ضلالهم بواسطة هذا الشعار أو غيره، على الرغم من جهل كثير من المسلمين بخفايا هذا الشعار ومراميه وأهدافه[١].

---

(١) وإن أردت المزيد من الشواهد والنصوص فيما يقولونه في صحابة رسول الله ﷺ على سبيل الخصوص وفي أمة الإسلام عموماً فارجع إلى كتبهم المعتمدة عندهم مثل: أصول الكافي، ورجال الكشي، وبحار الأنوار، وغيرها، أو إلى بعض المصادر الناقلة من كتبهم مثل: الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، وغيرها من كتبه، والوشيعة لموسى جار الله. ومختصر التحفة الإثني عشرية، وأصول الشيعة ج٢، وغيرها.

المبحث الثاني:
البراءة من آل البيت

قد يبدو هذا العنوان غريبًا عجيبًا، ذلك أن المعروف أن مبنى التشيع والرفض قائم على دعوى محبة أهل البيت ونصرة أهل البيت، فكيف يقال بأنهم يتبرءون من أهل البيت؟!

وأقول: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه القول والعمل، ودعوى التشيع عند هؤلاء هي لمجرد الدعاية والإعلان، وقد أدرك أهل العلم أن من مراحل الدعوة الباطنية مرحلة التأسيس، وهي موافقة المدعو فيما يريد ويشتهي، فإن كان ناصبيًا مبغضًا لآل بيت رسول ﷺ وافقه على نصبه، وإن كان متشيعًا للآل جرى معه على مذهبه... إلخ، حتى يتمكن بعد هذه المرحلة من التدرج به في سلم الدعوة الباطنية حتى ينتهي به المطاف إلى مرحلة الخلع والسلخ.. مع أن هذا الاتجاه يرفع في الأصل شعار التشيع، حتى قال بعض أهل العلم: إن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. ولذلك فإن هذه المرويات المدونة في كتب الشيعة الاثني عشرية المعتمدة عندهم تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد مجتمع الصحابة ولا تستثني منهم جميعًا سوى ثلاثة وإن زادت على ذلك لم تتجاوز السبعة، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء

فهؤلاء الثلاثة»[(١)] [(٢)].

فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع المزعوم إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة، ولا يستبعد أن تلك الأسماء التي تُستثنى هي «أسماء مستعارة» للزنادقة الذين يشكلون الخلية الأولى «للرفض»، ولا يُعنى بهم الصحابة، وإلا لماذا لم يذكر أحد معهم من أهل البيت؟ ولماذا لم يظهر من هؤلاء الصحابة منابذة ومناوأة للخليفتين الراشدين؟ بل ظهر منهم الحب والمؤازرة، بل إن عمارًا كان أميرًا لعمر بن الخطاب في الكوفة[(٣)]، وسلمان الفارسي في المدائن[(٤)].

إن الروافض حكموا بالردة في نصوصهم التي مر ذكرها على الحسن والحسين وآل عقيل وآل جعفر، وآل العباس، وزوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين.

بل إن الشيعة خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ الإسراء: ٧٢ [(٥)]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره،

---

(١) كذا.. مع أن المذكورين أربعة.

(٢) تفسير العياشي ١/ ١٩٩، البرهان ١/ ٣١٩، تفسير الصافي ١/ ٣٨٩.

(٣) أنظر: أُسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٤٦، الإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٦، الاستيعاب ٢/ ٤٧٣.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٨٧.

(٥) رجال الكشي ص ٥٣، والآية ٧٢ من سورة الإسراء.

وأنه جاهل سخيف العقل[(١)]، وفي رجال الكشي: «اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلًا على عمى قلوبهما»[(٢)].

وعلق على هذا شيخهم المصطفوي فقال: «هما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس»[(٣)].

وبنات النبي ﷺ يشملهن سخط الشيعة وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يَكُنَّ بنات النبي ﷺ - ما عدا فاطمة[(٤)] - فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟!

وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا[(٥)]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيهم الآل والأصحاب، لأنهم لم يعرفوا فكرة «الاثني عشر» التي لم توجد إلا بعد سنة (٢٦٠هـ).

كما باءوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنه يخصون منهن عائشة[(٦)] وحفصة[(٧)] - رضي الله عنهن جميعًا - بالذم واللعن والتكفير، وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا بعنوان:

---

(١) أصول الكافي ١/ ٢٤٧.

(٢) رجال الكشي، ص ٥٣.

(٣) نفس الوضع من المصدر السابق (الهامش).

(٤) انظر: جعفر النجفي/ كشف الغطاء ص ٥، حسن الأمير، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١/ ٢٧.

(٥) انظر: الكافي، باب من أدعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة، أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل ١/ ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٦) انظر: أصول الكافي ١/ ٣٠٠، رجال الكشي ص ٥٧ - ٦٠، بحار الأنوار ٥٣/ ٩٠.

(٧) انظر: بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٦.

(باب أحوال عائشة وحفصة) ذكر فيه ١٧ رواية[1]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[2]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺفي أهل بيته أبلغ الإيذاء.

حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من فوق سبع سماوات عائشة الصديقة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم (تفسير القمي) هذا القذف الشنيع[3] المتضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: «أجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن

---

(١) بحار الأنوار ٢٢/ ٢٢٧ ـ ٢٤٧.

(٢) حيث قال: «قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده ﷺ في قصص مارية وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك (انظر كيف يقلبون الحقائق) وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل (بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٥).

(٣) ونص ذلك: «قال علي بن إبراهيم في قوله: (وضرب الله مثلًا): ثم ضرب الله فيهما (يعني عائشة وحفصة زوجتي رسول الله) مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: والله ما عنى بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة، وليقيمن الحدَّ على فلانة فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلان يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها فلان: لا يحل لك أن تخرجين ـ كذا ـ من غير محرم، فزوجت نفسها من فلان»!!

هذا نص القمي كما نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٠، أما تفسير القمي فقد جاء فيه النص، إلا أن المُصَحِح حذف اسم البصرة الذي ورد مرتين ووضع مكانه نقط). (انظر: تفسير القمي ٢/ ٣٧٧).

والنص فيه عدم التصريح بالأسماء بقوله: «ليقيمن الحد» من الذي يقيم؟ وقوله: «فلان، وفلانه» من هما؟ لكن شيخ الشيعة المجلسي كشف التقية وحلَّ رموزها وذلك لأنه يعيش في ظل الدولة الصفوية فقال: «قوله: وليقيمن الحدَّ أي القائم عليه السلام في الرجعة، والمراد بفلان: طلحة» (بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤١). هذا النص كما ترى قد جاء في تفسير القمي الذي يوثقه شيوخهم المعاصرون، ولم يتعقبه المصحح والمعلق على تفسير القمي بشيء، فهو عار يكفِ السابقين والمعاصرين من شيوخهم، إلا أن المُعَلِّق على البحار عَقَّبَ على النص المذكور بالدفاع عن شيخهم القمي لا الدفاع عن عائشة أم المؤمنين، وأم المؤمنين لا تحتاج إلى شهادة أحد بعد شهادة الله لها... ولكن نذكر ذلك لبيان عظيم جرمهم.

من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن»[(١)]. وقال القرطبي: «فكل من سبها مما برأها الله منه مُكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر»[(٢)].

هذا وظاهرة التكفير عند الشيعة والبراءة لا تخص جيل الصحابة (وإن كان الصحابة ينالهم النصيب الأوفى من السب والتكفير باعتبار أنهم حملة الشريعة، ونقلة الكتاب والسنة، والمبلغون عن رسول الله ﷺ دين الله، ولذلك صار «الطعن فيهم طعنًا في الدين»[(٣)] وكان هذا هو هدف الزنادقة من وراء الحملة الضارية عليهم، ولكن سلسلة التكفير عند الشيعة مستمرة..

فكما قالت كتب الشيعة: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة، قالت أيضًا: «ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم»[(٤)].

فأنت ترى أن هذا النص لا يستثني أحدًا من أهل البيت ولا الحسن بن علي الذي تعده الاثنا عشرية إمامها، ويبدو أنها لا تستثنيه، لأنها عليه ساخطة لقيامه بمصالحة معاوية حتى خاطبه بعض الشيعة بقوله: «يا مذل المؤمنين»[(٥)]، ووثب عليه أهل عسكره فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته فردوه جريحًا إلى المدائن[(٦)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٦، وانظر: الصارم المسلول لابن تيمية ص ٥٧١.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٦.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٥.

(٤) رجال الكشي ص ١٢٣، أُصول الكافي ٢/ ٣٨٠.

(٥) انظر: رجال الكشي ص ١١١.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ١١٣.

المبحث الثالث:

البراءة من حكام المسلمين وحكوماتهم

يعتقد هؤلاء ضرورة البراءة من حكومات المسلمين وحكامهم، فقد قالوا في أهم وأوثق كتاب عندهم في الرواية: «كل راية ترفع قبل راية القائم[1] عليه السلام صاحبها طاغوت»[2].

قال شراح الكافي: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[3].

أي أن كل حكومة تقوم فهي حكومة غير شرعية حاكمها طاغوت من الطواغيت، وإن كان يدعو للحق ويعمل به فهذا لا يشفع له عندهم، ومن يبايع هذا الحاكم فهو مشرك ظالم مستحق للخلود في النار.

وقد عقد صاحب الكافي عدة أبواب لتقرير هذا المعنى مثل:

١ ـ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل[4].

٢ ـ باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله[5].

وضمَّن هذه الأبواب طائفة من نصوصهم المعتمدة عندهم، ففي الباب

---

(١) القائم من ألقاب مهديهم المنتظر.

(٢) الكافي (مع شرحه للمازندراني) ١٢/ ٣٧١، بحار الأنوار ٢٥/ ١١٣، الغيبة للنعماني ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) شرح المازندراني على الكافي ١٢/ ٣٧١.

(٤) الكافي ١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤.

(٥) الكافي ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

الأول ذكر اثني عشر حديثًا، وفي الثاني ذكر خمسة أحاديث.

وفي البحار للمجلسي عقد عدة أبواب في هذا الشأن منها: (باب عقاب من ادعى الإمامة بغير حق أو رفع راية جور أو أطاع إمامًا جائرًا)[(١)]، وذكر فيه ثمانية عشر حديثًا.

ويعقد شيخهم الحر ألعاملي في كتابه: «الفصول المهمة في أصول الأئمة» بابًا في هذا الأمر بعنوان: (باب أن كل ما في القرآن من آيات التحليل والتحريم فالمراد منها ظاهراها والمراد بباطنها أئمة العدل والجور)[(٢)] فهم يرون أن من أصول أئمتهم ودينهم أن المعنى الباطني المقصود والأساس لآيات أحكام الحلال هم أئمتهم الاثنا عشر، وآيات أحكام الحرام هو أئمة الجور، وهم كل من تولى على المسلمين من سوى أئمتهم.

فالإمام (الجائر) و(الظالم) و(الطاغوت) و(المشرك)، و(الذي ليس أهل للإمامة)، و(الإمام الذي ليس من عند الله)، وما شابه ذلك من أوصاف كل ذلك يطلقونه على حكام المسلمين من غير أئمتهم الاثني عشر، وعلى رأس هؤلاء الحكام: الخلفاء الثلاثة الراشدون المهدين أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره وخلفاؤه وأحبابه وأصفياؤه وأولياؤه: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

قال المجلسي عن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم وأرضاهم: «إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين»[(٣)].

هذا ما يقولونه في أبي بكر الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح بهم،

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ١١٠.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة ص ٢٥٦.

(٣) بحار الأنوار ٤/ ٣٨٥.

صديق هذه الأمة وعظيمها، وفي عمر الذي لم يفرِ في الإسلام فريه أحد، فاروق هذه الأمة وأحد معالم مفاخرها العظيمة، وعثمان ذي النورين صاحب الجود والحياء، الشهيد المظلوم، ومجهز جيش العسرة، الذي تستحي منه ملائكة الرحمن.

وقد عقد المجلسي بابًا في كتابه البحار في شأن هؤلاء الثلاثة الأعلام جعل عنوانه: (باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم)(١).

فإذا كانت هذه نظرتهم لهؤلاء الخلفاء وهم الذين أجمع المسلمون على عدالتهم وفضلهم وهدايتهم ودرايتهم، وأنهم أفضل الخلفاء والخلق بعد النبيين ـ فنظرتهم وحكمهم على من دونهم أشد وأسوأ، «فلا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»(٢).

بل ألزموا أتباعهم بالبراءة من كل من يترضى عن هؤلاء الثلاثة العظام، فكيف بمن دونهم من خلفاء الإسلام؟ فقد جاء في الكافي: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

١ ـ من ادَّعى إمامة من الله ليست له.

(وهذا الحكم شامل لجميع خلفاء المسلمين باستثناء علي والحسن ومن ينوب عن المنتظر على رأي جمهور متأخريهم).

٢ ـ ومن جحد إمامًا من الله.

(وهذا الحكم شامل لجميع شعوب العالم الإسلامي من عصر الخلافة الراشدة إلى نهاية الدنيا، ولا يستثنون سوى شيعتهم).

---

(١) بحار الأنوار ٨/ ٢٠٨ الطبعة الحجرية.

(٢) انظر: الإبانة لابن بطة ص ١٦٥.

٣ ـ ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبًا[١]، قال المجلسي في مرآة العقول: لهما: أي لأبي بكر وعمر[٢].

وهذا تكفير شنيع لأمة الإسلام جميعًا.

ونصوص الشيعة ومبادئها تفرض على كل شيعي منذ أكثر من أحد عشر قرنًا إلى اليوم ألا يؤمن بصحة بيعة خليفة من خلفاء المسلمين، ولا يعتقد بلزوم السمع والطاعة له، بل يعمل على الإضرار به وبدولته، كلما حانت فرصة أو تيسرت فتنة[٣]، وإنما يدين الشيعي فقط بالتبعية الشرعية والسمع والطاعة لولي أمر المسلمين في اعتقادهم وهو المهدي المنتظر (أو من يقوم مقامه حسب نظرية ولاية الفقيه)، وكل شيعي يجدد البيعة له في اعتقاده وقوله وأدعيته.

فمن أدعيتهم اليومية الخاصة بصاحب الأمر، دعاء يسمونه «دعاء العهد» وفيه: «اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهدًا أو عقدًا وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبدًا»[٤].

وفي دعاء يومي آخر لصاحب الأمر وصاحب البيعة الشرعية عندهم يقول: «اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة»[٥].

---

(١) الكافي ١/ ٣٧٣، تفسير العياشي ١/ ١٧٨، تفسير البرهان ١/ ٢٩٣، بحار الأنوار ٨/ ٢١٨.

(٢) مرآة العقول.

(٣) راجع كتاب: في انتظار الإمام، حيث قرر أن رواياتهم تفيد: «إن التوطئة لظهور الإمام المنتظر تكون بالعمل السياسي، عن طريق إثارة الوعي السياسي، والقيام بالثورة المسلحة.. » ص٧٨ من المصدر المذكور.

(٤) مفتاح الجنان، عباس القمي ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٥) المصدر السابق (الموضوع نفسه).

قال المجلسي: «ويُصفق بيده اليمنى على اليسرى كتصفيق البيعة»[(١)].

هذا ولما قامت دولتهم ـ التي عدوها بناء على النظرية الجديدة في ولاية الفقيه تمثل الدولة التي تنوب عن المنتظر ـ احتاجوا من أتباعهم إلى إعلان البراءة من غيرها من حكومات وحكام المسلمين، ولا يذهبن بك الظن إلى أنهم يعنون الحكام الظالمين لشعوبهم المتآمرين مع الاستعمار ضد أمتهم، بل لو كان الحاكم كأبي بكر في إيمانه، وعمر في عدله، وعثمان في جوده، وعلي في شجاعته، وأبي ذر في زهده لما نفعه ذلك عندهم، حتى يكون على اعتقادهم ويرى رأيهم في الإمامة والإمام، ولذلك كان في مقدمة من يتبرؤون منهم رواد هذه الأمة وعظماؤها كأبي بكر وعمر، وعموم ذلك الجيل القرآني الفريد من الصحابة والقرابة رضوان الله عليه أجمعين.

هذا والبراءة من الحكومات والحكام لا تمنع أحدهم من الدخول في سلك وظائفها وتشكيلات وزاراتها وعموم مصالحها، لتحقيق كسب لطائفته أو إلحاق ضرر بالدولة، ولذا فإن خميني يوصي أتباعه بما يسميه الدخول الشكلي في الحكومات من أجل تحقيق مصلحة للروافض، ويشيد بهذا الصدد بالخدمات التي قدمها نصير الدين الطوسي حين دخل وزيرًا في خلافة المستعصم، وتمكن بالتآمر مع التتار من الإطاحة بدولة الخلافة سنة ٦٥٦هـ[(٢)]، وكذا علي بن يقطين الذي دخل في دولة هارون الرشيد لذات الهدف[(٣)]، وقد تمكن في ليلة واحدة بحيلة خبيثة من قتل خمسمائة مسلم كما شهدت بذلك ملفات الروافض ووثائقهم[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٢/ ١١١، مفتاح الجنان ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) ينظر: الحكومة الإسلامية للخميني ص ١٢٨.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢.

(٤) كشف ذلك شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٨، انظرها بنصها في كتاب: (بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين) ص٩١، ط ١٤١١هـ.

المبحث الرابع:

البراءة من قضاة المسلمين وأحكامهم

يأمرون أتباعهم بالبراءة من قضاة المسلمين وأقضيتهم، والكفر بحكمهم وأحكامهم، لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم.

فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سُحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠»[1].

وقد علق خميني على هذا النص بقوله: «الإمام عليه السلام نفسه ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت»[2]

فأنت ترى أن نصوص هؤلاء الروافض قديمها وجديدها تعد قضاة المسلمين وحكامهم طواغيت، وأن أحكامهم باطلة، ومن يأخذ حقه بواسطتها فإنما يأكل الحرام وهذا الحكم يعم قضاة المسلمين على مدى القرون، وتعاقب الأجيال.

والنص السابق قد أسندوه إلى جعفر بن محمد الصادق المتوفى سنة

---

(١) أصول الكافي ١/ ٦٧.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٧٤.

(١٤٨هـ)، فإذا كان هذا حكمهم على قضاة تلك الفترة الداخلة ضمن القرون المفضلة فما بالك فيمن بعدهم ودونهم ؟!

المبحث الخامس:

البراءة من أمة الإسلام

لقد جعل الرافضة البراءة قاعدة عامة ومنطلقًا شاملًا في حياتهم لا ينفكون عنها أبدًا إلا في حال التقية، فقد وضعوا لأنفسهم وأوصوا أتباعهم بمخالفة المسلمين ـ بل صفوة المسلمين أهل السنة ـ في كل شيء فقالوا: «ما خالف العامة (أهل السنة) ففيه الرشاد»[1].

وبلغ بهم الأمر أنهم إذا وجدوا في المسألة قولين لا ثالث لهما فإنهم يوصون أتباعهم بتحري القول الذي يعمل به أهل السنة أو يميلون إليه لمخالفته فيقولون: «ينظر إلى ما هم إليه أميل ـ يعني أهل السنة ـ بحكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر»[2].

بل قد يعمدون إلى استفتاء بعض أئمة السنة وعلمائهم من أجل تحقيق المخالفة، ففي البحار عن علي بن أسباط قال: «قلت للرضا عليه السلام: يحدث الأمر لا أجد بدًا من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، (يعني من شيوخ الرافضة) قال: فقال عليه السلام: ائت فقيه البلد ـ يعني من علماء السنة وقضاتها ـ فاستفته في أمرك فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه»[3].

وهكذا أراد مؤسسو هذا المذهب الانفصال عن جماعة المسلمين، والنأي

---

(١) الكافي ١/ ٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عيون أخبار الرضا، وعلل الشرائع، وعن بحار الأنوار ٢/ ٢٣٣.

بالشيعة عن حقيقة الإسلام بالبراءة الكاملة من أحكام وفتاوى قضاة المسلمين وأئمتهم وإن وافقت الكتاب والسنة، حتى وضعوا لأنفسهم قاعدة في البراءة الكاملة من المسلمين فقالوا: «ما خالف العامة ففيه الرشاد»[(١)] كما رأيت.

وقالوا: «إذا ورد عنكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم»[(٢)].

وقالوا: «خذ بما خالف القوم (يعني أهل السنة)، وما وافق القوم فاجتنبه»[(٣)].

وحاور بعضهم إمامه في هذه المسألة فقال: «إذا وجدنا أحد الخبرين موافقًا للعامة (يعني أهل السنة)، والآخر مخالفًا لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقال: جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعا؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعًا؟ قال: إذا كان ذلك فأرجئه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عن الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[(٤)].

هكذا يقررون أن موافقة أهل السنة في عمل من الأعمال أو مبدأ من المبادئ مهلكة، لكن إن كان هذا العمل أو ذاك المبدأ يوافق نصًا أو مبدأ عند الرافضة فإن الأمر يستدعي حينئذ فتوى تفصل في الأمر، لأن اصطحاب الأصل العام وهو مخالفتهم للمسلمين لم يتحقق حينئذ، وعلى صاحب المشكلة أن يُرجي أمره إلى حين لقاء «الإمام» ليتلقى منه الحكم...

---

(١) الكافي ١/ ٦٨، وراجع في هذه المسألة: وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥ (باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة).

(٢) البحار ٢/ ٢٣٣، وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

(٣) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

(٤) أصول الكافي للكليني ١ ـ ٦٧ ـ ٦٨، من لا يحضره الفقيه لابن بابويه ٣/ ٥، التهذيب للطوسي ٦/ ٣٠١، الاحتجاج للطبري ١٩٤، وسائل الشيعة للحر العاملي ١٨/ ٧٥ ـ ٧٦.

وهكذا فإن مسألة البراءة من المسلمين تجري في شرايين مذهبهم، وهي بهذه الصورة مسلك خطير يخرج بالشيعة من الإسلام رأسًا، ونظمهم في سلك الملاحدة والزنادقة، لأنهم جعلوا مخالفة المسلمين هي القاعدة، فتكون النتيجة أنهم يوافقون الكافرين ويخالفون المسلمين.

فانظر إلى أي مدى لعب بهم زنادقة القرون البائدة!

ويعللون الأخذ بهذا المبدأ وهو البراءة والمخالفة للمسلمين بقولهم: «وما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم، فما هم من الحنيفية على شيء»(١).

ومرة أخرى يوهمون أتباعهم ويخدعونهم لصرفهم عن الحق الذي عليه المسلمون بقولهم: «من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة (يعني الروافض) أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة (يعني أهل السنة على حد المثل القائل: رمتني بدائها وانسلت) فأضلهم في جميع المسائل النظرية، حتى يكون الأخذ بخلافهم ضابطة.. لنا (يريد قاعدة لهم)، ونظيره ما ورد في حق النساء: شاورهن وخالفوهن»(٢).

ما أعظم هذا الأمر وأشد خطره على هذه الطائفة! وأي زنديق وضع لهم هذا الأصل في البراءة: «ما خالف العامة ففيه الرشاد». «فجعلوا مخالفة أهل الإسلام الخُلَّص أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أصلًا للنجاة، فصار كلما فعل أهل السنة شيئًا تركوه، وإن تركوا شيئًا فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين ورأسًا،

(١) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

(٢) الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجعة ص٧٠ ـ ٧١.

وذلك هو الضلال المبين والهلاك باليقين»[(١)].

وهم اليوم يريدون أن يؤصلوا هذا المعنى في المخالفة والبراءة في نفوس أتباعهم عبر مسيرات وهتافات وشعارات، لأنهم رأوا تأثير مثيلها في مسيرة عداء الصحابة التي يقومون بها في المحرم وغيرها، حتى ادعى كبير شيوخهم خميني أن هذا المسلك هو الذي حفظ لهم المذهب في نفوس أتباعهم طيلة القرون فقال: «إن البكاء على سيد الشهداء وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا»[(٢)]. أي حفظ دين الروافض ومذهبهم حيث يشحنون نفوس أتباعهم عبر هذه المآتم بالحقد على صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، وعلى عموم الأمة وأئمتها.

فانظر! أي اتجاه خطير وتخطيط أثيم يزمع فعله رؤوس هذا المذهب في إبعاد الشيعة عن الإسلام وأصوله وأهله فإلى الله المشتكى، وهم اليوم أيضًا أرادوا تطوير مبدأ المخالفة عبر مؤامرتهم الجديدة في شكلها القديمة في جوهرها (مسيرة البراءة)، لتكون موردًا جديدًا ومعينًا آخر يغذي مسيرة تفريق الأمة وزرع العداوة بينها، والحقد على سلفها وخيارها، وعزلها عن الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم.

---

(١) كشف غياهب الجهالات للألوسي الورقة ٦ (مخطوط).

(٢) جريدة الاطلاعات، العدد (١٥٩١٠) في تاريخ ١٦/٨/١٣٩٩ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم) صفحة الغلاف.

المبحث السادس:

البراءة من الفرق الإسلامية

وبراءتهم تمتد إلى التبري الكامل من الفرق الإسلامية كلها معتدلها ومتشددها، قريبها وبعيدها، سنيها وبدعيها، ناصبيها وشيعيِّها، ولا يستثنون سوى طائفتهم (بل بين فرق الطائفة ذاتها لعن وتبري وتكفير..).

ولا تظن أن في الأمر مبالغة أو تحاملًا، بل هي الحقيقة المظلمة.. فنصوصهم وأقوال شيوخهم في التبري واللعن والتكفير لفرق المسلمين يملأ سوادها المجلدات، ينقل شيخهم المفيد في كتابه: «أوائل المقالات» (الذي يعده المعاصرون من شيوخهم عمدة في بيان اعتقادهم)[1] ينقل إجماعهم على تكفير الفرق الإسلامية كلها وأنهم من أهل النار أجمعين حيث يقول: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار.. ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[2].

وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» (الذي يعده المعاصرون المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب)[3] بابًا في هذا الشأن بعنوان: (باب كفر المخالفين والنصاب)[4]، وعد كل من لم يؤمن بإمامة

---

(١) ذكر ذلك شيخهم محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت، وذلك في كتابه الشيعة في الميزان ص١٤.

(٢) أوائل المقالات ص ٥٣.

(٣) انظر: مقدمة البحار ص ١٩.

(٤) بحار الأنوار ٧٢/ ١٣٢.

واحد من الأئمة الاثني عشر في عداد المشركين (وقد سبق مزيد بيان لذلك في مبحث مفهوم الشرك والمشركين عندهم) وأوجبوا بالتالي: البراءة منه، لأن البراءة من المشركين لازمة، كما عدوه في عداد الظالمين الملعونين قال القمي: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون...»[1]، فهذا حكم شامل للحاكم والمحكوم.

فهم لم يبقوا من فرق المسلمين أحدًا سوى من قال بإمامة أئمتهم، بل اعتبروا المخالفين لهم من المسلمين أشد شرًا من اليهود والنصارى.

يقول ابن المطهر الحلي الذي يلقبونه بالعلامة: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[2].

ولقد بلغ بهم الأمر أن أعلنوا المفاصلة الكاملة والبراءة الشاملة لكل فرقة من فرق المسلمين ؛ لأن كل الفرق الإسلامية (ما عدا الرافضة) تثبت خلافة الشيخين، ولذا قال شيخهم نعمة الله الجزائري مبينًا أبعاد هذه البراءة من فرق المسمين: «لم نجتمع معهم على إله، ولا على نبي، ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[3].

هذه نصوص بالتكفير عامة وأحكام بالبراءة شاملة، وبإزائها نصوص خاصة تتناول الفرق الإسلامية على سبيل التخصيص والتعيين، كلعنهم لأهل

---

(١) الاعتقادات لابن بابويه ص١١١، وانظر البحار للمجلسي ٢٧/ ٦٢.

(٢) الألفين لابن مظهر ص ٣.

(٣) نص سابق، راجع ص ٧٢.

السنة الذين يلقبونهم بالمرجئة، ولعنهم للقدرية والخوارج...

جاء في الكافي: «عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية[١] وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة»[٢].

وجاء في الكافي: «اللهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»[٣]. ويكشف شيخهم المجلسي مرادهم بهذا اللعن بلا تقية أو مواربة حيث يصرح بأن «المراد بالإرجاء هنا تأخير علي عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة»[٤].

يعني من لم يؤمن بأن عليًا هو الخليفة الأول لرسول الله ﷺ فيُأخره ويقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان فهو مرجئ عندهم، والإرجاء في اللغة هو التأخير، والبراءة عندهم لازمة من كل مخالف حيًا أو ميتًا يقول المجلسي: «لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه[٥]، أو اعتزال أو خارجية، أو إنكار إمامة، إلا للتقية، فإن فعل (يعني صلى عليه تقية) لعنه بعد الرابعة»[٦].

هذا وتمتد براءتهم لتتناول فرقًا هي من طوائفهم وتنتمي إلى التشيع مثلهم، فتتوالى عليهم اللعنات، وتتعاقب عليهم كلمات التكفير والمعادة، ولذلك فإن

---

(١) صارت الشيعة قدرية فيما بعد فاللعن يشملهم.

(٢) أصول الكافي ٢/ ٣٨٧، ٤٠٩.

(٣) فروع الكافي (مع شرحه مرآة العقول) ٤/ ٣٧١.

(٤) مرآة العقول للمجلسي ٤/ ٣٧١.

(٥) أوائل الشيعة كانوا جبرية في باب القدر مشبهة في باب الصفات، ثم جنحوا لطريقة الاعتزال في هذا الباب بعد المائة الثالثة.

(٦) ينظر: جمال الدين الأفغاني: التعليقات على شرح الدواني (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني دراسة وتحقيق محمد عمارة ١/ ٢١٥).

شيخهم ميرباقر الداماد يفسر حديث: «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» يفسرها بفرق الشيعة، ويقرر أن الناجية منها طائفته الإمامية[(١)]، أما أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم من سائر فرق المسلمين فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم لم يدخلوا في اعتقاده في الإسلام أصلاً[(٢)].

بل إنهم يخصون جملة من هذه الفرق الشيعية بلعنهم وتكفيرهم، ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من فرق الشيعة نالهم الذم والتكفير في نصوص كثيرة، وفي عدد من مصادرهم المعتمدة، جاء في الكشي (عمدة مصادرهم في الرجال): «عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت. وقال لي: الزيدية هم النصاب»[(٣)].

وفي الكافي (عمدة كتبهم في الحديث): «عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه: إن لي جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هم سيان، من كذب بآية من كتاب ا لله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا زيدي نصب لنا»[(٤)].

وقال المجلسي: «كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية والواقفة»[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مرآة العقول ٤/ ٧١ ـ ٧٣.

(٣) رجال الكشي ١٩٩، بحار الأنوار ٧٢/ ١٧٩.

(٤) الكافي «كتاب الروضة» ١٢/ ٣٠٤ (مع شرحه للمازندراني)، مفتاح الكتب الأربعة ٨/ ٧٦.

(٥) بحار الأنوار ٣٧/ ٣٤.

قلت: والفطحية والواقفة أيضًا من فرق الشيعة، لكنهم خالفوا الاثني عشرية في عدد الأئمة أو أعيانهم، فدخلوا في دائرة البراءة والتكفير، فهذا حكمهم على فرق الشيعة فما بالك بمن دونهم؟ حتى إنهم يعدون المخالف لهم في دعواهم وجود المهدي وحياته، والقول بأنه هو الحكم اليوم على المسلمين، يعدوه أكفر من إبليس[(١)].

بل إن مجرد محبة أبي بكر وعمر هي عندهم من الكفر المستوجب للبراءة من صاحبه، جاء في البحار: «عن أبي علي الخرساني، عن مولى لعلي بن الحسين عليه السلام قال: كنت معه عليه السلام في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقًا ألا تخبرني عن هذين الرجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من أحبهما»[(٢)].

ويظهر أن موجة التكفير والتبري من الصحابة والقرابة والتي سادت نصوصهم وسودت كتبهم وقد كان من عقوباتها وآثارها ظهور حالة التنافر والتنابذ والتنابز والتلاعن والتلاحي والتبري بين فرقهم وأفرادهم، كأنها عقوبة مثلية جزاءً وفاقًا، فهؤلاء الذي أطلقوا ألسنتهم في خير الصحابة ومن دونهم من عموم المسلمين، ارتدت سهام ألسنتهم إليهم، استمع إلى ما يرويه الكشي ويوافقه عليه شيخ طائفتهم الطوسي[(٣)] عن حال أوائل أصحابهم (الخُلَّص) من تبري بعضهم من بعض، ورمي بعضهم لبعض بالزندقة والكفر، حيث يقول في روايته بأنه في سنة ١٩٠هـ اجتمع ستة عشر رجلًا في باب الحسن الثاني، فقال له أحدهم ـ ويُدعى جعفر بن عيسى ـ : يا سيدي نشكو إلى

---

(١) انظر: إكمال الدين لابن بابويه ص١٣.

(٢) بحار الأنوار ٧٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) لأن كتاب رجال الكشي الموجود بأيدي الشيعة اليوم من اختياره وتهذيبه، أما الأصل الذي وضعه الكشي فقد فُقِد كما يقولون.

الله وإليك[١] ما نحن فيه من أصحابنا. فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرؤون منا. فقال: هكذا أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم. وقال: جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة»[٢].

هذا حال رعيلهم الأول فكيف بمن بعدهم ؟ ولذلك في عصرنا هذا نجد الاثني عشرية منقسمة إلى أصولية وإخبارية وشيخية وكشفية وركنية وكريمخانية وقزلباشية[٣]، وكلها داخلة في المجموعة الاثني عشرية وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضًا[٤].

فمثلًا بلغ الصراع والعداء والتبري في عصرنا بين أهم فرق الاثني عشرية وهما الأصولية والإخبارية أن من شيوخ طائفة الإخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشيًا من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه[٥]، ويفتي بعضهم بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر[٦]، ويتقاذفون تهم الزندقة والتكفير[٧].

---

(١) هذا التعبير من الألفاظ المنهي عنها، لأنه يقتضي التسوية بين الخالق والمخلوق، فهو نوع من الشرك (الأصغر)، ولذا يجب ن يقول: (نشكوإلى الله ثم إليك) وضلال هؤلاء (أعني الروافض) في الشرك الأكبر من ذلك، ولكن هذا التنبيه للقارئ.

(٢) رجال الكشي ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٣) في أصول الشيعة ١/ ١١١، وما بعدها تعريف موجز بهذه الفرق.

(٤) الآراء الصريحة، لمحمود الملاح ص٨١.

(٥) محمد آل المطلقاني: الشيخية ص٩.

(٦) انظر: مع علماء النجف: محمد جواد ص٧٤.

(٧) انظر: أصول الشيعة ١/ ١١٨.

المبحث السابع:

البراءة من أمصار المسلمين
(والحكم بأنها دار كفر):

جاء في نصوصهم البراءة العامة من أمصار المسلمين، ولا يستثنون إلا من أخذ بمعتقدهم ودان بنحلتهم، وتأتي في مقدمة أمصار المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم من دونها من بلاد المسلمين، وإليك الأمثلة من واقع كتبه المعتمدة عندهم:

أ - مكة والمدينة:

يقولون في مصادرهم المعتمدة:«إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث منهم سبعين ضعفًا»[1].

هذا النص ورد في أصول الكافي أهم مصدر وأوثقه في مقاييسهم، وتاريخ صدور هذا الحكم هو منتصف القرن الثاني بمقتضى نسبة الرواية إلى جعفر الصادق[2] المتوفى سنة (١٤٨هـ)، أي أن هذا حكم على مكة المكرمة بأنها دار كفر في فترة القرون الثلاثة المفضلة، ويعلق على ذلك أحد شيوخهم المعاصرين بقوله: «لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم كانوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمنافقون شر من الكفار، وهم في

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٤١٠

(٢) ونبرئ الإمام من هذا الافتراء، ومثل هذه المقالات جزء من عدواهم وعدائهم لأهل البيت، فهم يطعنون فيهم باسم التشيع والمحبة لهم.

الدرك الأسفل من النار... ويحتمل أن يكون هذا مبنيًا على أن المخالفين غير المستضعفين مطلقًا شر من سائر الكفار كما يظهر من كثير من الأخبار»[١].

فهو يرى أن هذا التكفير حق، ويوجه هذا الحكم عليهم بأنهم شر من الكفار بأحد أمرين:

- إما باتباعهم للأمويين أي بمقتضى مبايعتهم لخلفاء المسلمين من الأمويين، وهذا نفاق أكبر عندهم.
- أو لأن المخالف (يعني المخالف للشيعة من سنة وغيرهم من الفرق الإسلامية) شر من الكفار[٢].

فاسمع وتعجب..! حيث ترى أن المعاصرين يقرون ويؤيدون هذا الحكم الجائر الظالم الذي صدر من الزنادقة الغابرين في حق أهالي مكة والمدينة المجاورين للحرمين في فترة القرون المفضلة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، رواه البخاري وغيره. ولقد كان أهل المدينة ولا سيما في القرون المفضلة يمثلون الصفوة المختارة من المسلمين، حيث كانوا يتأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينةٍ من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة[٣].

وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم القديم، منتسبين إلى مذهب

---

(١) علي أكبر الغفاري في تعليقه على أصول الكافي ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ (الهامش).

(٢) أصول الشيعة ٢/ ٤٧٠.

(٣) اشتهر عن الإمام مالك وأصحابه أن إجماع أهل المدينة حجة، وإن كان بقية الأئمة ينازعونهم في ذلك، والمراد إجماعهم في تلك الأعصار المفضلة، أما بعد ذلك فقد اتفق الناس على أن إجماعهم ليس بحجة [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٣٠٠].

مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[(١)].

ويبدو أن التزام أهل المدينة بسنة رسول الله ﷺ في تلك الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام قد أغاظ هؤلاء الزنادقة الأقزام، فعبروا عن بالغ حقدهم بهذه الكلمات، وما تخفي صدورهم أكبر.

وإذا كان هذا حكمهم على خيار التابعين المجاورين للحرمين المشهود لهم بالفضل والخيرية ـ فحكمهم على ما جاء بعدهم أشد وأنكى، كما قال بعض السلف: «لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[(٢)].

ولذلك فإن المعاصرين على أثرهم يهرعون يلعنون ويكفرون ويتبرءون، ولا ينفكون عن ذلك إلا في ظل التقية والمداهنة والمصانعة والمداراة التي أصبحت لهم دينًا ومسلكًا...

لذلك ظهرت الحقيقة في غمرة النشوة بوصول الآيات إلى مقاليد الحكم في إيران فأعلنوها صريحة مع أنهم أهل التقية والكتمان والمداراة فقالوا على لسان بعض آياتهم ـ كما مر ـ [(٣)] بلا خوف ولا حياء: «بأن مكة تحتلها شرذمة أشد من اليهود»، وأنها هدف من أهداف ثورتهم...وقالوا عبر مجلتهم: «الشهيد» وهي المعبرة عن رأي علماء الشيعة في «قم»: سنحرر القبلتين[(٤)]. وبأي شيء استحقت فئة من المسلمين تقوم على خدمة الحرمين

---

(١) ينظر: الفتاوى ٢٠/٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) انظر: الإبانة لابن بطة ١٦٥.

(٣) انظر: هذه الكلمات الخطرة بنصوصها وتوثيقها من مصادرهم في ص ١١١ ـ ١١٦.

(٤) مجلة «الشهيد» العدد: ٤٦.

وتنفق المليارات في سبيل ذلك، وتنتقل دولتها بأجهزتها الرئيسة في المشاعر لخدمة وفود الله، ولا يرتفع في تلك الرحاب الطاهرة سوى نداء التوحيد.

بل لِمَ تُكَفَّر طائفة من المسلمين بغير حق...؟ وماذا ينقمون منهم..؟

المشكلة الكبرى في خلاف الروافض مع المسلمين تكمن في أن كل من لم يوافق على شذوذهم العقدي فهو في عداد الكافرين.

ففي قاموس هؤلاء الروافض ـ مثلًا ـ من لا يدفع خمس أرباحه وأمواله وممتلكاته لآياتهم ومراجعهم فهو من الظالمين لآل محمد الخالدين في نار جهنم الكافرين بملة محمد ﷺ، بل عدوا من يستحل منعهم درهمًا منه في عداد الكافرين(١).

ومن لا يوافقهم على الفوضى الجنسية المسماة بالمتعة عندهم فهو ليس منهم: (ليس منا من لم يؤمن برجعتنا ويقُل بمتعتنا)(٢).

ومن لا يؤمن بغائبهم فهو أكفر من إبليس(٣).

ومن لا يسير معهم في سب صحابة رسول الله ﷺ والوقيعة فيهم ويتبرأ من أفضل الخلق بعد النبيين فهو في عداد الظالمين(٤).

وكل شذوذ لهم يكفرون من خالفهم فيه.

وكل ذلك متفرع عن قضيتهم الأولى «إمامة الاثني عشر» والتي يرون أن

---

(١) قالوا: «ومن منع منه درهمًا أوأقل كان مندرجًا في الظالمين لهم (أي لأهل بيت رسول الله ﷺ) والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلًا لذلك كان من الكافرين». انظر: اليزدي/ العروى الوثقى/ الموثق من مراجعهم في هذا العصر ٢/ ٣٦٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه ٢/ ١٢٨، وسائل الشيعة ٧/ ٤٣٨، تفسير الصافي ١/ ٣٤٧.

(٣) انظر: إكمال الدين لابن بابويه ص١٣.

(٤) انظر: الفصل الرابع : المبحث الأول: براءتهم من الصحابة ص٣٢١.

منكرها أكفر من اليهود والنصارى[١].

ويبدو أن مجرد خلو مكة والمدينة من مظاهر الشرك ورموزه يغيظ هؤلاء الروافض ويملأ قلوبهم حقدًا، ولذلك فإن التاريخ يعيد نفسه، ففي هذا العصر وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران، ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخوتي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشر من اليهود».

وذكر أنه حين تثبت ثورتهم سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وأفغانستان[٢].

فأنت ترى أنه يساوي بين الوضع في مكة التي يحكمها المسلمون وبين الحال في القدس التي يحتلها اليهود، وأفغانستان التي يحتلها الشيوعيون..

وقد نشرت مجلة الشهيد ـ لسان علماء الشيعة في قم ـ في العدد (٤٦) الصادر بتاريخ ١٦شوال ١٤٠٠هـ، صورة تمثل الكعبة المشرفة، وإلى جانبها صورة تمثل المسجد الأقصى المبارك، وبينهما يد قابضة على بندقية، وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[٣].

---

(١) انظر: الألفين لابن المطهر ص٣.

(٢) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرا يوم ١٦/ ٣/ ١٩٧٩م، وانظر: وجاء دور المجوس ٣٤٤ ـ ٢٤٧.

(٣) انظر: مجلة الشهيد العدد المذكور، وانظر: جريدة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠ هـ، وانظر: ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد: رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران حتى قال بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران، والذي يقيمون فيه، شعارات مكتوبًا عليها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار»، وانظر: الفتنة الخمينية للشيخ محمد آزاد ص٩.

وفي هذا الاتجاه يرون أن حكم الكفار للديار الإسلامية أولى من حكم المسلمين.

وقد نقل الشيخ رشيد رضا أن الرافضي (أبو بكر العطاس) قال: إنه يفضل أن يكون الإنكليز حكامًا في الأراضي المقدسة على ابن سعود[١].

وقد كشف لنا آيتهم حسين الخرساني أن كل شيعي يتمنى فتح مكة والمدينة وقال: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يومًا قريبًا آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى ـ كذا ـ ليدخلوها آمنين مطمئنين، فيطوفوا بيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور ساداتهم ومشايخهم.. ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب أموالهم المحترمة ظلمًا وعدوانًا، حقق الله تعالى آمالنا»[٢].

هكذا يتمنى هذا الرافضي فتح الديار المقدسة، وكأنها بيد كفار، ويعلل هذا التمني بأنه يريد الحج والزيارة، وكأنه وطائفته قد منعوا من ذلك، والواقع أنه يريد إقامة الشرك وهدم التوحيد في الحرمين الطاهرين.

وهذا التوجه على العموم يعود إلى أصل أصيل عندهم وضعه متأخروهم، وهو أن أهل السنة أو أهل الإسلام الذين لا يؤمنون بمعتقدهم ولا يؤمنون بإمامة الاثني عشر وانتظار مهديهم، أكفر عندهم من اليهود والنصارى، وقد مر بنا قول شيخهم ابن المطهر الحلي ـ الذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه ـ إن: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف

---

(١) المنار: ٢٩/ ٦٠٥.

(٢) الإسلام على ضوء التشيع ص١٣٢ ـ ١٣٣.

الخاص»[١].

يعني أن من لا يؤمن بوجود إمامهم المنتظر وحياته وإمامته[٢] أشد كفرًا ممن ينكر نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك ذكر شيخهم ابن بابويه أن منكر مهديهم المنتظر أشد كفرًا من إبليس[٣] !! ـ كما سلف ـ بل أعلنوا ـ كما تقدم على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري ـ انفصالهم الكامل عن المسلمين وبراءتهم التامة من أمة محمد ﷺ فقالوا: «لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[٤].

ب ـ مصر وأهلها:

قالوا في نصوص لهم يسندونها إلى أئمتهم المعصومين في كتبهم المعتمدة عندهم: «بئس البلاد مصر، أما أنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطة ومعصية منهم لله..

---

(١) الألفين لابن المطهر ٣.

(٢) وهو مجرد وهم لا وجود له إلا في أذهان الروافض، فقد قرر علماء التاريخ والنسب ونقيب الطالبين من آل البيت وسائر بني هاشم، أن الحسن العسكري مات عقيمًا، وأن دعوى وجود ولد له اختفى فور ولادته خوفًا، لا سند له في الواقع، وراجع في هذه المسألة منهاج السنة النبوية ٢/ ١٦٤، والمنتقى ص٣١، وأصول مذهب الشيعة ٢/ ٨٩٩.

(٣) انظر: إكمال الدين ص١٣.

(٤) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٩.

إني أكره أن آكل شيئًا طبخ في فخار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها، مخافة أن تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي»[(١)].

«مالك ومصر؟ أما علمت أنها مصر الحتوف.. يساق إليها أقصر الناس أعمارًا»[(٢)].

«انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها.. هو يورث الدياثة »[(٣)].

«ما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها، ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها.. ولقد قال رسول الله ﷺ: لا تغسلوا رؤوسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها، فإنه يورث الذل ويذهب الغيرة»[(٤)].

وجاءت عندهم هذه الروايات وغيرها في ذم مصر وهجاء أهلها والتحذير من سكناها مسندة افتراء على الله ورسوله وآل بيته إلى رسول الله ﷺ، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الرضا[(٥)]، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[(٦)].

فهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، كل

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/ ٢١٠، تفسير العياشي ١/ ٣٠٥، والبرهان ٤٥٧١.

(٢) بحار الأنوار ٦٠/ ٢١١.

(٣) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٤) قرب الإسناد ص٢٢٠، وبحار الأنوار ٦٠/٢٠٨ ـ ٢٠٩، تفسير العياشي ١/ ٣٠٤، والبرهان ١/ ٤٥٦.

(٥) انظر: المصادر السابقة، وتفسير القمي ص ٩٩٦، وبحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨.

(٦) انظر: بحار الأنوار ٥/ ٢٠٨.

ذلك لأنها لم تأخذ بنهج الروافض، ويحتمل أن هذه الروايات قبل الحقبة الإسماعيلية من تاريخ مصر، لأن من يشاركهم في رفضهم.. ويقيم دولة تسمح بكفرهم لا ينالون منه بمثل هذا.

كما لا يبعد أن هذه النصوص بعد الحقبة الإسماعيلية وهي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين، الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في حق مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه: «باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر»[(١)]، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط[(٢)]، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة[(٣)] ورحمًا»[(٤)]. أو قال: «ذمة وصهرًا»[(٥)]. رواه مسلم[(٦)].

جـ - الشام وأهلها:

- جاء في الكافي: «أهل الشام شر من أهل الروم»[(٧)] (يعني شر من النصارى).

- «لا تقولوا: من أهل الشام، ولكن قولوا: من أهل الشؤم، هم أبناء

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ٢/ ١٩٧٠.

(٢) القيراط: جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرها، وكان أهل مصر -في ذلك الزمان ـ يكثرون من استعماله والتكلم به.

(٣) الذمة: هي الحرية والحق.

(٤) الرحم: لكون هاجر أم إسماعيل منهم.

(٥) الصهر: لكون مارية أم إبراهيم (ابن رسول الله ﷺ) منهم.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٩٧٠ (رقم٢٢٧)

(٧) أصول الكافي ٢/ ٤٠٩.

شر (يعني بلد) لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير»[١].

أين هذه الكلمات الحاقدة على الشام وأهلها مما ورد في كتب السنة في فضل الشام[٢]، وقد قال الإمام ابن القيم: «... وأرض الشام وصفها ـ الله سبحانه ـ بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة...»[٣].

وقد جاء في صحيح البخاري عن معاذ مرفوعًا: «أن الطائفة المنصورة بالشام».

وورد في فضل أهلها أحاديث، منها ما رواه أصحاب السنن منها قوله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[٤]. وقد صنف في فضل الشام بعض أهل العلم كتبًا خاصة كالإمام الربعي وابن الجوزي.

د ـ البراءة من بلدان المسلمين كلها إلا واحدة:

هذا وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[٥]، ولا يستثنون من أمصار المسلمين ـ في العصور الذهبية من تاريخ المسلمين وهو عصر القرون الثلاثة المفضلة ـ لا يستثنون سوى بلدة واحدة فقط، أما ما عداها من بلاد المسلمين في شرق الأرض وغربها فليس لها ولا لأهلها في ولايتهم نصيب، بل يتبرؤون منها ويعدونها في عداد بلاد المغضوب عليهم والضالين، بل أعظم وأشد...

---

(١) تفسير القمي ص ٥٩٦، وبحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨.

(٢) انظر: كتاب فضائل الشام لأبي الحسن الربعي، مطبعة الترقي بدمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد.

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ١٨٧.

(٤) انظر: الدر المنثور ٣/ ٥٢٩.

(٥) انظر: بحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨ وما بعدها.

جاء في البحار ـ لتقرير هذا الأمر ـ قولهم: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة»[١]، أي لم تستمع لمذهبهم من بلاد المسلمين سوى «الكوفة»، ذلك أن بلاد الإسلام لقربها من العلم والإيمان لم تقبل مادة «الرفض الخبيثة» سوى الكوفة التي بليت بها بتأثير ابن سبأ اليهودي، الذي طاف الأمصار فلم يجد من يقبل دعوته أحد إلا في ذلك المكان القاصي البعيد في تلك الفترة عن نور العلم والإيمان؛ إذ البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل وغيبة أهل العلم والإيمان، ولهذا «خرج التشيع من الكوفة»[٢]، كما ظهر الإرجاء أيضًا من الكوفة، وظهر القدَر والاعتزال والنسك الفاسد من البصرة، وظهر التجهم من ناحية خراسان، وكان ظهور هذه البدع كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بحسب البعد عن الدار النبوية[٣]، ذلك أن: «سبب ظهور البدع في كل أمة هو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبهذا يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[٤].

---

(١) المصدر السابق ١٠٠/ ٢٥٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٣٧.

المبحث الثامن:

البراءة من أموات المسلمين

ولم يشف غيظهم ويكف شرهم براءتهم من المسلمين الأحياء، بل تجاوزت أحلامهم المريضة وأحقادهم السوداء ذلك إلى حد التشفي والتمني بنبش قبور عظماء الإسلام بعد موتهم، بل نبش قبري عظيمي الإسلام ومن أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، أعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

لقد سجلوا في مصادرهم المعتمدة بلا خوف أو حياء نصوصًا عديدة تتضمن هذه الأمنيات المريضة، يقولون:

«هل ترى أول ما يبدأ به القائم؟[1] أول ما يبدأ به يخرج هذين (يعنون خليفتي رسول الله ﷺ) رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح ويكسر المسجد»[2].

وفي نص ثان لهم يقولون:

«وهذا القائم.. هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى (يعنون خليفتي رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما) طريين فيحرقهما»[3].

---

(١) يعنون مهديهم المنتظر والذي سيتولى الفقيه الشيعي القيام بجميع أعماله، ومنها هذا العمل الذي سيبدأ به لو تمكن هو وطائفته من دخول الحرم النبوي، وذلك بحكم نظريتهم الجديدة وهي عموم ولاية الفقيه.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/ ٣٨٦.

(٣) عيون أخبار الرضا ١/ ٥٨، بحار الأنوار ٥٢/ ٣٤٢.

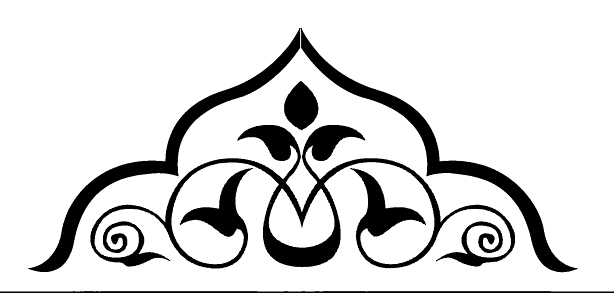
وفي نص ثالث يقولون على لسان مهديهم: «وأجيءُ إلى يثرب فأهدم الحجرة، وأُخرج من بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الأولى»[١].

بل إنهم يتجهون كما تصر به نصوصهم إلى هدم الحجرة النبوية، يقول نصهم ـ كما مر ـ : «وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة»، فقد نطقت نصوصهم بما في قلوبهم، وصدق فيهم قول السلف: إن الذين يطعنون في صحابة رسول الله ﷺ فهدفهم الطعن في رسول الله ﷺ حتى قال بعضهم: رجل سوء له أصحاب سوء. ولذلك فإن وعودهم المظلمة تعد أتباعهم بهدم الحجرة النبوية التي تضم في جوانبها جسد أفضل الخلق، وما لنا نذهب بعيدًا وإحدى فرقهم وتسمى العلبائية[٢] نطقت بذم رسول الله ﷺ لأنها تستقي من هذا الغثاء المظلم.

---

(١) بحار الأنوار ٥٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) العلبائية: من فرق الشيعة، وهم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي أو الأسدي، كان يفضل عليًا على النبي ﷺ، وكان يقول بذم محمد ﷺ، وزعم أنه بُعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه. انظر: الملل والنحل ١/ ١٧٥، ورجال الكشي ص٥٧١، إلا أنه سماها العليائية، بحار الأنوار ٢٥/ ٣٠٥.



الفصل الخامس

من يوالون؟

ويشتمل على خمسة مباحث:

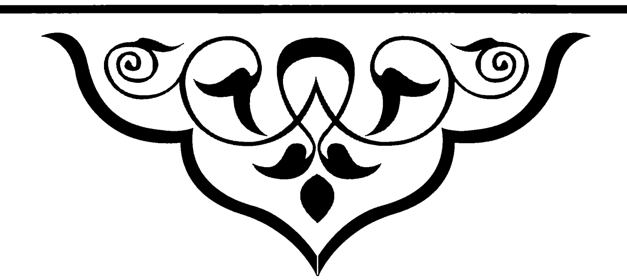
المبحث الأول: موالاة المرتدين.

المبحث الثاني: موالاة المجوس المتآمرين.

المبحث الثالث: موالاة الكذابين المفترين.

المبحث الرابع: موالاة الملاحدة المسؤولين عن المذابح الكبرى للمسلمين.

المبحث الخامس: موالاة سائر أعداء المسلمين.



توطئة

إذا كفرت هذه الطائفة وتبرأت من الصحابة والقرابة والخلفاء، والأئمة والقضاة وأعيان الأمة، والفضلاء والأخيار والأمصار، والفرق والطوائف الإسلامية بما فيها التشيع المعتدل، فيا ترى من توالي؟

لقد تتبعت النصوص الرافضية من خلال كتبها المعتمدة عندها فرأيتها توالي جملة من أقزام التاريخ وحثالة البشر وأعداء الإسلام، تواليهم بمقالها وفعالها، فتقف معهم وتناصرهم على المسلمين، وهذه بعض صور ومعالم تلك الموالاة.

المبحث الأول:

موالاة المرتدين

ومن صورها الفاضحة والكاشفة لحقيقة هذه الطائفة دفاعهم عن المرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب مدعي النبوة الذي صنف قرآنًا جاء فيه بالهذيان السمج[(١)].

كتب للنبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإني أُشرِكت في الأمر معك».

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب».

فلما توفي رسول الله ﷺ بعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله بمن معه من المسلمين.. ولقي المؤمنون في حربه شدة عظيمة وقتل في حربه طائفة من خيار الصحابة مثل زيد بن الخطاب، وثابت بن قيس بن الشمَّاس، وأُسيد بن حضير وغيرهم[(٢)].

ومع هذا الكفر والإجرام يستميت هؤلاء الروافض في الدفاع عن هؤلاء المرتدين، ويستعينون بكل ما أوتوا من الأكاذيب المعروفة عندهم في مناصرتهم والثناء عليهم، كما ترى ذلك عند علَّامتهم[(٣)] ابن المطهر الحلي في منهاج الكرامة[(٤)]،

---

(١) انظر: أمثلة لهذيانه في منهاج السنة ٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ٤٩٢.

(٣) إذا أُطلق لقب العلاَّمة عندهم لاينصرف إلا إليه كما يقولون.

(٤) انظر النص في: «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» لابن المطهر الحلي ص١١٥، من الطبعة التي أخرجها د.رشاد سالم في طبعتها الأولى المحققة، وانظر رد شيخ الإسلام عليه في منهاج السنة٤/ ٤٩٠.

وكما نجد ذلك عند بعض شيوخهم المعاصرين[١].

وهنا نقول مع شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله أكبر على هؤلاء المرتدين المفترين، أتباع المرتدين الذين برزوا بمعاداة الله ورسوله وكتابه ودينه، ومرقوا من الإسلام ونبذوه وراء ظهورهم، وشاقوا الله ورسوله وعباده المؤمنين، وتولوا أهل الردة والشقاق.

فإن هذا الفصل وأمثاله من كلامهم (يعني كلام ابن المطهر الحلي) في دفاعه عن هؤلاء القوم المتعصبين على الصديق ﵁، وحزبه من جنس المرتدين الكفار، كالمرتدين الذي قاتلهم الصديق ﵁..

فإذا كانوا يدعون (يعني الرافضة) أن أهل اليمامة (المرتدين) مظلومون قُتلوا بغير حق.. كان هذا ما يحقق أن هؤلاء الخلق (يعني الروافض) تبع لأولئك السلف»[٢] (يعني المرتدين).

ولأن ثمة وشائج وصلات فكرية وعملية ـ مقصودة أو غير مقصودة ـ بين الروافض وأحزاب الكفر والردة فإنه «في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في كمبريدج من بلاد الإنكليز في أواخر سنة ١٣٧٣هـ تقدم المستشرقون الروس بتقارير وبحوث يدافعون فيها عن مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة الذين قاتلهم جيش أبي بكر الصديق في اليمامة، وكان لذلك صدى استياء في العالم الإسلامي، واستدلَّت منه مجلة الأزهر[٣] على انحطاط مستوى الاستشراق، وأن دفاع الرافضي المردود عليه[٤] عن بني حنيفة وقوم مسيلمة يدل على

---

(١) انظر: "الإمام الحسين" للرافضي عبدالله العلايلي ص ٣ و٤ و١٩.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩٤.

(٣) انظر: عدد سنة١٣٧٤هـ، ص٢٥٤.

(٤) يعني ابن المطهر الحلي الذي رد عليه شيخ الإسلام.

أن جماعة موسكو من مستشرقي الروس متأثرون بدفاع الرافضة عن هؤلاء المرتدين، نكاية بسيدنا أبي بكر الصديق وجيشه أهل القرآن الذي أبلوا في ذلك الجهاد أعظم البلاء»[1].

---

(١) انظر: محب الدين الخطيب، في تعليقاته على (المنتقى) مختصر منهاج السنة ص ٢٧١.

المبحث الثاني:
موالاة المجوس المتآمرين

لما قامت دولة الإسلام وانطفأت بأنوار الحق نار المجوس الحاقدين تضاعفت لديهم المصيبة، فراموا الكيد للإسلام في أوقات شتى فلم يصلوا إلى ما يريدون، فرأوا أن كيد الإسلام على الحيلة أنجع، فدخلوا الإسلام ظاهرًا وقصدوا مظلة التشيع فتستروا بها، لأن التشيع كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله من ملحد ومنافق وموتور، ومن أراد أن يعيش بعقيدته في ظل اسم الإسلام، إذ يكفي في التشيع مجرد الحب، فعندهم حبُّ علي حسنة لا يضر معها سيئة[١].

وكان من رءوس هؤلاء المجوس الحاقدين أبو لؤلؤة المجوسي الذي تولى كبر مقتل الخليفة الراشد فاروق هذه الأمة فاتح ديار هؤلاء المجوس وناشر الإسلام بينهم، وهذا المجوسي وزعيم المجوسية يحظى بتقدير وحب هؤلاء الروافض المنتسبين للإسلام، فيوالون أعداء الله وأعداء دينه وقتلة أوليائه، مما يدل ويؤكد الصلة العاطفية والفكرية والخلفية الدينية الواحدة بينهم وبين أولئك المجوس، وأن الأصل المجوسي يجمعهم والحقد على مطفئ نيران المجوس الذي لم يفر في الإسلام فريه أحد الخليفة الراشد عمر هو محل اتفاقهم، فإن الروافض تثني وتمدح وتعظم رأس العصابة المجوسية

---

(١) انظر: أصول الكافي، باب أن الإيمان لايضر معه سيئة، والإيمان وفق اعتقادهم هو حب الإئمة أو معرفتهم.

انظر: أصول الكافي ٢/ ٤٦٣، واصول مذهب الشيعة ٢/ ٥٧٥.

التي شاركت في التآمر والكيد للخليفة الراشد ودولة الخلافة الراشدة، وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي.

وقد بلغ من إشادتهم بتآمره ورضاهم بجريمته أن لقبوه بـ «بابا شجاع الدين»[١].

وعدَّوا يوم مقتله عيدًا من أعظم أعيادهم، قال شيخهم الجزائري عن هذا اليوم: «إن هذا اليوم عيد، وهو من خيار الأعياد»[٢].

وبوب شيخهم هذا بابًا لفضله بعنوان: (نور سماوي يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطاب)[٣].

فماذا بعد هذا؟! فإذا كان هذا حقدهم على الخليفة العادل عمر وولايتهم لعدوه، فحقدهم على من دونه من خلفاء المسلمين أعظم، وموالاتهم لأعدائهم أشد وأمكن، كما قال بعض السلف: «لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[٤]. ـ كما مر ـ .

---

(١) الكنى والألقاب، عباس القمي ٢/ ٥٥.

(٢) الأنوار النعمانية للجزائري ١/ ١٠٨.

(٣) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٤) الإبانة لابن بطة ١٦٥.

المبحث الثالث:

مولاة الكذابين المتنبئين

ويسيرون في ركب الملاحدة المتنبئين مدحًا وثناءً وولاءً، ممن شاعت عنهم المقولات في الكفر والإلحاد من دعوى النبوة، وادعاء العلم بالغيب، ونزول الوحي عليهم، ونسبة البداء إلى الله تعالى على ألسنتهم، وذلك كالمختار بن أبي عبدي الثقفي الكذاب الذي تنسب له طائفة المختارية، أو الكيسانية، فهو وإن سلطه الله سبحانه على قتلة الحسين ﵁ فإن هذا لا يشفع له للتستر على كذبه وظلمه، ولهذا قال ابن كثير: «ولا شك أن قتله (يعني الحسين) كان متحتمًا، والمبادرة إليه كان مغنمًا، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرًا، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[(١)].

وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ الأنعام: ١٢٩.

وقال بعض الشعراء:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيُبلى بظالم[(٢)]

ثم قال ابن كثير عن المختار: (وهذا هو الكذاب الذي قال عنه الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤، والقدر، باب العمل بالخواتيم ٧/ ٢١٢، والمغازي، باب غزوة خيبر ٥/ ٧٥. ومسلم في الإيمان ١٧٨، والدارمي في السير٨٣، وأحمد ٢/ ٣٠٩.

(٢) في رواية بأظلم.

في حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق: «إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[١].

فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع)[٢].

(ولا شك أنه كان ضالًا أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنه أظهر الانتصار للحسين حتى قتل قاتله وتقرب بذلك إلى محمد بن الحنفية وأهل البيت، ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه»[٤]، والمختار هو: «أول من ظهر عنه دعوى النبوة من المنتسبين إلى الإسلام»[٥].

وأخباره ودعاواه ومعتقداته مسطورة في كتب التاريخ والفرق[٦].

ومع كل ما قيل عن هذا الكذاب فإن الرافضة تلهج كعادتها بالثناء عليه، كما تجد ذلك مفصلًا في كتاب «السرائر»[٧]، وهو من كتب الرافضة المعتمدة

---

(١) أنظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٩٧٢، والمبير: المهلك، انظر: شرح مسلم للنووي ١٦/ ١٠٠.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣١٤.

(٤) منهاج السنة ٢/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٥) منهاج السنة ٣/ ٤٥٩.

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٩٠، وما بعدها، .... والرد للملطي ص ٢٩، ص ١٥٢، واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص ٦٢، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٦ وما بعدها، والحور العين للنشوان ١٥٧، والملل واالنحل للشهرستاني ١/ ١٣٢ وما بعدها، وفرق الشيعة للنوبختي ص ٤٤ ـ ٥٤، ص ٤٨، وانظر: تاريخ الطبري ٥/ ٥٦٩ ـ ٥٨٢، وتاريخ ابن كثير ٨/ ٢٨٩ وما بعدها، ولسان الميزان لابن حجر ٦/ ٦ ـ ٧، وكتاب المختار الثقفي، سلسلة أعلام العرب، د. علي الخربوطلي ١٩٦٣م.

(٧) انظر: السرائر لابن ادريس ٤٧٥.

كما قال المجلسي: «كتاب السرائر لا يخفى الوثوق عليه وعلى مؤلفه على أصحاب السرائر»[١]. كما ورد مدحه والإشادة به في كتب لهم معاصرة[٢].

---

(١) بحار الأنوار ١/ ٣٣.

(٢) انظر: تاريخ الكوفة، لحسين البرقي ص ٦٢.

المبحث الرابع:

موالاة الملاحدة المسؤولين عن المذابح الكبرى للمسلمين

ومن أصول هذا التوجه الكاشف لمعتقداتهم والفاضح لأهدافهم، مواقفهم من رؤوس الإلحاد والنفاق أصحاب الجرائم الكبرى والفساد العريض في الأرض، بل أصحاب المسئولية الأولى في البلايا التي وقعت لأهل الإسلام.

ومن شواهد ذلك مواقفهم ـ أعني الروافض ـ المؤيدة وإشادتهم وثناؤهم المكشوف على نصير الكفر والإلحاد المتآمر على أهل الإسلام ودولتهم، والمسئول ـ مع ابن العلقمي ـ عن المذبحة العامة للمسلمين في بغداد وسقوط الخلافة الإسلامية سنة ٥٦٥هـ، حيث يتحدثون عنه كعلم من أعلام الإسلام ورمز من رموز المسلمين، ويشيدون بموقفه المتآمر وجريمته النكراء، يقول خميني: «.. ويشعر الناس (وهم شيعته وأمثالهم وأعداء الإسلام) بالخسارة بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام»[١].

والخدمات التي يشير إليها خميني هي ما أوضح عنها ـ بكل صراحة ـ شيخهم الآخر الخوانسارى في ترجمة النصير الطوسي حيث قال: «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم ـ هولاكو خان.. ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال

---

(١) الحكومة الاسلامية ص ١٢٨.

الاستعداد إلى دار السلام بغداد، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، بإبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم، دار البوار»[١].

هكذا وبمنتهى الصراحة (والاعتراف سيد الأدلة) يعدون تدبيره لإيقاع القتل العام بالمسلمين من أعظم مناقبه، وهذا القتل هو الطريق عندهم لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، ويرون مصير المسلمين الذين استشهدوا في هذه الكارثة إلى النار، ومعنى هذا أن هولاكو الوثني ـ وهو الذي يصفه بالمؤيد ـ وجنده هم عندهم من أصحاب الجنة، لأنهم شفوا غيظ هؤلاء الروافض من المسلمين، فانظر إلى عظيم هذا الحقد!!، فقد صار قتل المسلمين من أغلى أمانيهم، وصار الكفار عندهم أقرب إليهم من أمة الإسلام.

---

(١) روضات الجنات ٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠١، وانظر في ثناء الروافض على النصير الطوسي، مستدرك الوسائل للنورب الطبرسي ٣/ ٤٨٣، والكنى والألقاب للقمي ١/ ٣٥٦.

المبحث الخامس:

مولاة سائر أعداء المسلمين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتُلِيَ المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين»[1].

ثم ذكر شواهد من وقائع التاريخ الصادقة على هذه الحقيقة فقال: «فقد شهد الناس أنه لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة ٦٥٨هـ كانت الرافضة الذين كانوا بالشام من أعظم الناس أنصارًا وأعوانًا على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين، وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكو إلى العراق وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله، فكان وزير الخليفة ابن العلقمي، والرافضة هم بطانته الذين عاونوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها، وقبل ذلك كانت إعانتهم لجد هولاكو وهو جنكيز خان، فإن الرافضة أعانته على المسلمين، وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى ينصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين، حتى إنهم لما انكسر المسلمون سنة غازان[2] سنة تسع وتسعين وخمسمائة وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع الفساد، من القتل وأخذ الأموال،

---

(١) منهاج السنة ٣/ ٣٨.

(٢) هو أخو خدابنده جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، وانظر في تفاصيل الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام: البداية والنهاية ١٤/ ٦.

وحمل راية الصليب وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى بقبرص وغيرها، فهذا وأمثاله قد عاينه الناس وتواتر عند من لم يعاينه»[١].

وقال: «وكذلك كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم»[٢].

والحديث في هذا الباب يطول، والشواهد من التاريخ مستفيضة، ومن الواقع شاهدة وقائمة، ولذلك ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القول بـ «إن كل فتنة وبليّة هم الشيعة ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم وبهم تسترت الزنادقة»[٣].

ولقد كانوا لأصناف الملاحدة ومختلف الفرق الباطنية موالين ومحبين حتى انمحت الحدود العازلة بينهم، وفي عصرنا حاولوا احتواء كل منتسب للتشيع وإن كان من الإسماعيلية الباطنية أو من الزنادقة الدهرية أو من المجسمة الغلاة[٤].

بل في عصرنا اتسعت دائرة الموالاة عندهم لكل من يمت للتشيع بأوهى صلة، مهما كان اعتقاده ومهما لُعن وكُفِّر من قِبل قدماء الشيعة، فمثلًا عرف واشتهر عن طائفة النصيرية الكفر والزندقة[٥]، وقررت كتب الشيعة القديمة

---

(١) منهاج السنة ٣/ ٢٤٤، وانظر أيضاً: المصدر السابق ٣/ ٣٨ ـ ٣٩ و٤/ ١١٠ ـ ١١١. والمنتقى (مختصر منهاج السنة) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢، وتعليقات محب الدين الخطيب في هذا الموضوع في الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٢) منهاج السنة ٤/ ١١٠.

(٣) منهاج السنة ٣/ ٢٤٣.

(٤) انظر: أصول الشيعة ٣/ ٩٧٧.

(٥) انظر: فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥/ ١٤٥، وما بعدها.

كفرها وأنها فرقة خارجة عن الإسلام[١]، ولكن شيعة عصرنا يقولون عنهم على لسان أحد آياتهم وهو المدعو حسن الشيرازي بأنهم: «من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب...»[٢].

خلاصة القول: أنهم يتبرءون من المسلمين ويوالون الكافرين:

بل بلغ الشطط والغلو أنهم يكفرون ويتبرءون من جيل الصحابة كافة، أفضل جيل عرفته البشرية سوى ثلاثة، وقد تزيد بعض رواياتهم ـ إن زادت ـ وخمسة آخرين[٣].

ويتبرؤون ولا يوالون من جيل التابعين أفضل الأجيال بعد الصحابة سوى ثلاثة فقط، ولذا قالوا: «إن الناس ارتدوا بعد الحسين إلا ثلاثة»[٤].

وهذا التبري من هذه الصفوة المختارة عنوان وعلامة على التبري ممن دونهم من سائر المسلمين.

***

---

(١) انظر هذه النصوص في: بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٥.

(٢) العلوين شيعة أهل البيت ص ٢ ـ ٣.

(٣) أصول الكافي ٢/ ٣٨٠، رجال الكشي ص ١٣٣.

(٤) انظر رجال الكشي ص ١٢٣، أصول الكافي ٢/ ٣٨٠.



الفصل السادس

أسباب براءتهم وموالاتهم

أسباب براءتهم وموالاتهم

لِمَ هذا الإصرار من الروافض على البعد عن مصادر الهداية، وذلك بالبراءة من أهل الإسلام على اختلاف مراتبهم وزمانهم ومكانهم وفرقهم ولغاتهم وألوانهم، بل والبراءة من الصفوة المختارة من الصحابة والقرابة، وبذل ما ستطيعون من درجات التبري والمخالفة والعدوان؟!!

هذا ما سنحاول الكشف عن أسبابه في هذا الفصل، وهي أسباب مجهولة في الغالب لدى كثير من الناس، والتي هي بعد ـ الجهل بدين الله وشرعه، والعداوة والتآمر على الإسلام وأهل ـ من أهم الأسباب وراء طبقات البراءة المظلمة عند هذه الطائفة.

السبب الأول من أسباب براءتهم وموالاتهم (عقيدة الطينة)[1]:

وهي زعمهم أنهم خلقوا من طينة خاصة مختلفة عن المادة التي خلق منها سائر البشر، حيث تتضمن نصوص الشيعة في مصادرها المعتمدة نظرة مستعلية على خلق الله أجمعين تشبه تمامًا النظرة اليهودية المتغطرسة وفق النصوص التلمودة.

ومن ذلك دعواهم أنهم خلقوا من طينة خاصة مختلفة ومتميزة عن المادة التي خلق منها سائر البشر هي طينة طيبة فاخرة، وما سواهم من البشر خلق من طينة خبيثة، وبسبب هذه الطينة فهم ـ كما يزعمون ـ أهل دين الله، وهم على دين أنبيائه، وهم على الحق، لا يغفر إلا لهم ولا يقبل إلا منهم»[2]، وهم

---

(١) انظر للتفصيل: أصول مذهب الشيعة ٢/ ٩٥٥.

(٢) انظر: بحار الأنوار ٦٨/ ٨٣ ـ ٩٦، باب أن الشيعة هم أهل دين الله وهم على دين أنبيائه وهم على الحق ولا يغفر إلا لهم ولا يقبل إلا منهم.

«أقرب الخلق من عرش الله عز وجل يوم القيامة»[١]. وهم «نور في ظلمات الأرض»[٢] وهم «الخاصة» وغيرهم «العامة».

ومبالغات الشيعة في إطراء نفسها وحصر الإيمان في أتباعها، وحجر رحمة الله ومغفرته وجنته عليهم دون سواهم ـ يستغرق ذكرها مئات الصفحات، ولقد شابهوا يهود في هذا الباب الذين قالوا ـ كما حكى الله عنه ـ : ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ البقرة: ١١١، فقال سبحانه ردا عليهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ البقرة: ١١١ ـ ١١٢.

بل يخطر ببالي أن عقيدة الطينة عندهم متفرعة عن المقالة الإبليسية المفتخرة على آدم عليه السلام حين قال إبليس مستكبرًا مفتخرًا على آدم: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الأعراف: ١٢.

ولقد اهتم شيوخهم بأمرها، ولعل الذي تولى كبر إرساء هذه العقيدة شيخهم الكليني (ت٣٢٩هـ) في باب عَقده بهذا الشأن بعنوان: (باب طينة المؤمن والكافر)، ذكر فيه سبعة أحاديث من أحاديثهم التي ينسبونها لبعض آل البيت[٣]، ويبدوا أن هذا المعتقد وجد رواجًا عندهم، فقد كثر الوضع فيه حتى سجل شيخهم المجلسي في بحاره سبعة وستين حديثًا في بابه الذي عقده (باب الطينة والميثاق).

وقد تطول الرواية الواحدة في وصف الطينة الفاخرة والنفيسة التي خلق

(١) الكافي مع شرحه للمازندراني ١٢٢٣١/ ٢٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٦٨/ ٣٩، رجال الكشي ص ٢١٢.

(٣) انظر: أصول الكافي ٢/ ٢ ـ ٦.

منها الشيعة حتى تصل إلى خمس صفحات، كما في الرواية التي ساقها ابن بابويه في كتابه علل الشرائع وختم بها كتابه، ورأى بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا كمسك الختام فقال: «فإنه ختم بهذا الحديث الشريف كتاب علل الشرائع»[١]، مع أن بعض عقلائهم المتقدمين حاول إنكارها وقال: «إنها أخبار آحاد مخالفة للكتاب والسنة والإجماع فوجب ردها»[٢].

ولكن هذا الإنكار تلاشى أمام كثرة الوضع وتبني الغلاة لهذا المعتقد، ولذلك قال أحدهم وهو نعمة الله الجزائري في رده على منكريها من بني ملته: «إن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثرة في الأصول وغيرها، فلم يبق مجال في إنكارها والحكم عليها بأنها أخبار آحاد، بل صارت أخبارًا مستفيضة بل متواترة»[٣].

السبب الثاني: براءة الشيعة من مخالفيهم لأنهم في اعتقادهم قردة وخنازير:

لم يتورع هؤلاء القوم عن إلحاق أسوأ الأوصاف وأقبح النعوت بمخالفيهم حتى قالوا: لو كشف الغطاء عن الناس ما نظر الشيعة لمخالفيهم إلا في صورة كلاب وقردة وخنازير. وهي أشبه ما تكون بنظرة اليهود المسجلة بالتلمود والتي تقول بأن الناس حمير، وإنما خلقوا على صورة البشر لخدمة اليهود، تشابهت أقوالهم وعقائدهم (لاشتراكهم في أصل النشأة والاعتقاد)، وهي براءة تقضي بأن هؤلاء من جنس أحط الحيوانات وأولئك من جنس البشر، فليس ثمة علاقة أو رابطة بينهما.

---

(١) انظر: بحار الأنوار (الهامش) ٥/ ٢٣٣.

(٢) ومن هؤلاء المرتضى، وابن إدريس. أنظر: الأنوار النعمانية ١/ ٢٩٣.

(٣) الأنوار النعمانية ١/ ٢٩٣.

وقد كانوا يستخدمون السحر في إشاعة هذه المفاهيم ـ فيما يظهر ـ كما يدل عليه النص التالي: «عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر(١): أنا مولاك ومن شيعتك، ضعيف البصر، اضمن لي الجنة(٢)، قال: أولًا أعطيك علامة الأئمة؟ قلت: وما عليك أن تجمعها لي؟ قال: وتحب ذلك؟ قلت: كيف لا أحب! فما زاد أن مسح على بصري فأبصرت جميع ما في السقيفة التي كان فيها جالسا، قال: يا أبا محمد هذا بصرك فانظر ما ترى بعينك، قال: فوالله ما أبصرت إلا كلبًا وخنزيرًا وقردًا. قلت: ما هذا الخلق الممسوخ؟ قال: هذا

---

(١) ونُبَرِّئ الإمام أبا جعفر محمد الباقر من هذا الاعتقاد وذلك العمل، ولكنه أكاذيب الرّوافض ومخاريفهم، نسبوها لهؤلاء الصفوة علها تجد القبول، ولن تجد لها مصدقًا سوى من أعمى الله بصره وبصيرته، وما وضعها سوى أولئك الزنادقة المشحونة قلوبهم بالحقد الأسود على الإسلام وأهله وعلى رسول الله ﷺ وأهل بيته.

(٢) ضمان الجنة بيد من قال وقوله الحق: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: الآيتان ١٣ ـ ١٤]، وهؤلاء الزنادقة يشيعون هذه الإشاعات عن بعض أهل البيت للإساءة إليهم وصرف الناس عن ربهم وتوحيدهم لخالقهم، ومحاولة بيع صكوك الغفران وجنات باسم أهل البيت لأكل أموال الناس بالباطل بدعوى الحصول منهم على خُمس أهل البيت الذين بيدهم ضمان الجنة... وقد قال خير الخلق حينما نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤]: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً». أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٤٧٧١، ومسلم في الإيمان، باب في قوله تعالى ٢٠٨، ٣٥٦.

ومثل هذه الدعاوى الباطلة من ضمان الأئمة الجنة لآخرين تشبه ما لدى النصارى من اعتقاد وهو ما عرف عندهم بصكوك الغفران، وقد ورث هذا الاعتقاد الشيعة، وقد كان أئمة أهل البيت ينكرون هذه المقالات الفاسدة أشد الإنكار، جاء في ميزان الاعتدال أن زرارة بن أعين أحد رجال الشيعة نسب إلى جعفر بن محمد علم أهل الجنة وأهل النار، وقال لابن السماك: إذا لقيته فاسأله هل أنا من أهل النار أم من أهل الجنة، ولما بلغ ذلك جعفراً قال: أخبره أنه من أهل النار، فمن ادعى علي علم هذا فهو من أهلها. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٩ ـ ٧٠، لسان الميزان ٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

الذي ترى هذا السواد الأعظم، ولو كشف الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلا في هذه الصورة. ثم قال: يا أبا محمد إن أحببت تركتك على حالك هكذا وحسابك على الله، وإن أحببت ضمنت لك الجنة، ورددتك على حالك الأول، قلت: لا حاجة في النظر إلى هذا الخلق المنكوس، ردني فما للجنة عوض، فمسح يده على عيني فرجعت كما كنت»[(١)].

ولقد بلغ الأمر بهم أن توجهوا بهذا التصور والتصوير إلى حجاج بيت الله الحرام وقاصدي المشاعر المقدسة من أهل القرون المفضلة (فما بالك بحكمهم على من بعدهم) فقالوا بأن هؤلاء الحجيج ليسوا سوى قردة وخنازير، وادعى أحدهم أنه رأى ذلك بعينه بمجرد مسحه لوجهه من يد إمامه يقول النص: «عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما فضلُنا على من خالفنا (يعني أهل السنة) فوالله إني لأرى الرجل منهم أرخى بالًا، وأنعم عيشًا، وأحسن حالًا، وأطمع في الجنة، قال: فسكت عني حتى كنا بالأبطح من مكة ورأينا الناس يضجون إلى الله قال: ما أكثر الضجيج والعجيج وأقل الحجيج!! والذي بعث بالنبوة محمدًا وعجل بروحه إلى الجنة ما يتقبل الله إلا منك ومن أصحابك خاصة، قال: ثم مسح يده على وجهي فنظرت فإذا أكثر الناس خنازير وحمير وقردة إلا رجل بعد رجل»[(٢)].

السبب الثالث: تكفيرهم لجميع من خالفهم:

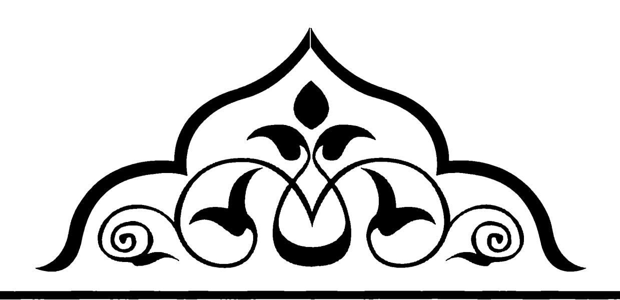
وقد مضى بيان ذلك من خلال نصوصهم وأقوال أئمتهم[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ٣٠.

(٢) الخرائج والجرائح، وبحار الأنوار ٢٧/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) انظر: فصل «ممن يتبرأون؟».



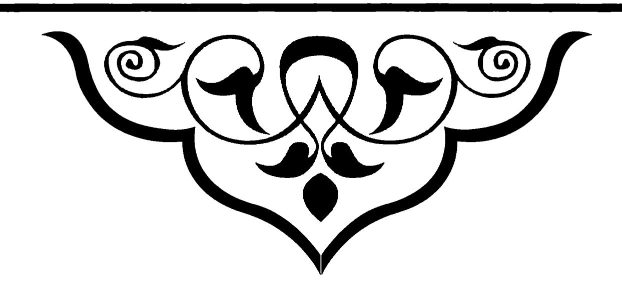
الفصل السابع

أين تعلن البراءة؟
ومن الأحق بالتبري؟

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: من الأحق بالبراءة؟

المبحث الثاني: أين تعلن البراءة؟



المبحث الأول:

أين تعلن البراءة من المشركين؟

البراءة من المشركين من أصول الدين، وهي واجبة على جميع الموحدين أسوة بالأنبياء والمرسلين، وليس لإعلانها مكان مخصوص ولا زمن معين، لكن حينما يظهر الشرك ويعلن في موضع أو زمن يجب على أهل التوحيد أن يتبرؤوا من المشركين ويتبرؤوا من كل معبود من دون الله، ويظهروا دعوة التوحيد في ذلك المكان والزمان والهجرة في حالة العجز.

والمتأمل اليوم في بلاد المسلمين يرى أن بلاد الشيعة مليئة بمظاهر الشرك المتعددة، يراها من يزور ديارهم ويقف على مشاهدهم ومراقد أئمتهم بلا ستر أو خفاء.

ومن خالطه شك فليذهب لمشهد علي الرضا في إيران، أو لمشهد الحسين في كربلاء أو غيرها من مشاهدهم، ليسمع بأذنيه ويرى بعينيه مظاهر الوثنية المختلفة، وقد رأى ذلك من سافر لبلادهم.

يقول الشيخ موسى جار الله بعد زيارة لبلاد الشيعة امتدت سبعة أشهر وزيادة، كان يمكث في كل عواصمها أيامًا وأسابيع، وكان يزور معابدها ومشاهدها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والميتم، ويستمع لحفلات دروسها في البيوت والمساجد، قال:

«أرى المساجد في بلاد الشيعة متروكة مهملة، وصلاة الجماعة غير قائمة، والأوقات غير مرعية، والجمعة متروكة تمامًا، وأرى المشاهد والقبور

معبودة»[(١)].

ويقول صاحب التحفة الاثني عشرية:

«إنهم يعظمون قبور الأئمة ويطوفون حولها، بل ويصلون إليها مستدبرين القبلة إلى غير ذلك من الأمور التي يستقل لديها فعل المشركين مع أصنامهم، وإن حصل لك ريب من ذلك فاذهب يوم السبت إلى مرقدي موسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهما فانظر ماذا ترى!. ومع ذلك فهذا معشار ما يصنعون عند قبر الإمام علي رضي الله عنه ومرقد الإمام الحسين رضي الله عنه عنه مما لا يشك ذو عقل في إشراكهم والعياذ بالله»[(٢)].

ويقول الندوي بعد زيارة له إلى إيران:

«فإذا دخل غريب في مشهد سيدنا علي الرضا لم يشعر إلا وأنه داخل الحرم، فهو غاص بالحجيج مدوي بالبكاء والضجيج، عامر بالرجال والنساء مزخرف بأفخر الزخارف والزينات قد تدفقت إليه ثروة الأثرياء وتبرعات الفقراء»[(٣)].

أما أرض الحرمين فهي اليوم ـ بحمد الله ـ لا يوجد فيها صنم يعبد، ولا وثن يقصد، ولا قبة على قبر، ولا ضريح يعظم، ولا شيء من مظاهر الوثنية ومعبودات الجاهلية.

ويشير العالم الإيراني المعاصر الأستاذ أحمد الكسروي إلى أن السبب من وراء ذلك هو دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب الذي دعا إلى ما دعا إليه المرسلون من توحيد رب العالمين، ثم نعى على الروافض (وقد

---

(١) انظر: الوشيعة ص: ط من المقدمة.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٣٠.

(٣) من نهر كابل إلى نهر اليرموك ص ٩٣، مجلة الاعتصام، السنة ٤١، العدد ٣.

كان من علمائهم سابقًا) تعصبهم للشرك والمشركين فيقول: «وما يرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عامًا، وجرت في تلك مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب، وظهر جليًا أن ليست زيارة القبب والتوسل بالموتى ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب، فقام الإسلام يجادلها ويبغ ـ كذا ـ قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة.

فأثَّرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة، فإن هؤلاء لم يكترثوا مما كان، ولم يعنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى عناية، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين»[١].

فأي الفريقين أحق بالبراءة والتبري؟ أهل التوحيد أم أهل الشرك؟ ألا يجدر بأهل الإسلام البراءة من المشركين وفي مقدمتهم الروافض المشركون والباطنية الملحدون.

وقد يقول قائل: إذا تطهرت أرض مكة من دنس الشرك ومعبودات المشركين فإن فئات من المسلمين وبقاعا من بلاد الإسلام لا تزال تعيش أسيرة لألوان من الشرك وهي ليست من ديار الشيعة؟ فيقال:

أولًا: إن الذي كبَّر فتنة طوائف من المسلمين عن دينهم ونشر رجس عبادة القبور بينهم هم من يسمى في عصرنا بالشيعة وهم رافضة باطنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من وضع البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانًا، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر

(١) التشيع والشيعة ص ٨٩.

المساجد دون المشاهد»[١].

فقد تحول غلو هؤلاء الروافض في أئمتهم إلى غلو في قبورهم بعد موتهم، ثم وضعوا مئات من الروايات نسبوها لأهل البيت لمساندة مسيرتهم الوثنية وإشاعة شركهم وكفرهم بين الأمة المحمدية، ثم سرى هذا البلاء إلى بعض ديار السنة بفعل الرافضة وكيدهم، فهم الأصل فيه وهم دعاته وأربابه، وكتبهم تؤيده وتدافع عنه.

ثانيًا: أن ما عند الروافض من مظاهر الشرك، هو أكثر مما عند المسلمين[٢].

ثالثًا: أن ما عند أهل السنة من ذلك هو انحراف في واقعهم ترده أصولهم وينكره أئمتهم ومخالف لإجماعهم، وما عند الروافض هو ما تدعو إليه أصولهم وينادي به شيوخهم ويقوم عليه دينهم، ونتيجة ذلك أن ما عند السنة من انحراف يسير إصلاحه بمقتضى أصولهم، وما عند الروافض عسيرٌ تغييره إلا أن تُغير أصولهم أو يتبرءون منها، ولذلك فإن حركات الإصلاح التي قامت في العالم الإسلامي داعية للتوحيد.. كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان لها أثرها الواضح في المجتمعات الإسلامية باستثناء ديار الشيعة، كما شهد بذلك شاهد من أهلها وهو العالم الإيراني أحمد الكسروي ـ كما سلف ـ .

وإذا أردت أن تقف على دعوة الشرك في كتب الشيعة فما عليك إلا أن تتجه إلى أصولهم المعتمدة مثل:

ـ بحار الأنوار للمجلسي، كتاب المزار الأجزاء (١٠٠، ١٠١، ١٠٢).

ـ وسائل الشيعة للحر العاملي في أبواب المزار التي بلغت ١٠٦

---

(١) الرد على البكري ص ٤٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨، وأُصول الشيعة ٢/ ٤٧٨.

أبواب[١].

- الوافي (الجامع لكتبه الأربع المعتمدة) في أبواب المزارات والمشاهد عبر (٣٣) بابًا[٢].

- وفي كتاب من لا يحضره الفقيه تجد أبوابًا كثيرة حول المشاهد وتعظيمها كـ (باب الحسين وحريم قبره) و(أبواب في زيارة الأئمة وفضلها)[٣].

- وفي تهذيب الأحكام ترى مجموعة من الأبواب تتعلق بتعظيم المشاهد والقبور ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم[٤]، وقد ألفوا في «حج المشاهد ومناسكها» مصنفات مستقلة بلغت ستين كتابًا[٥].

وشيوخهم المعاصرون على هذا الضلال يهرعون وإليه يدعون، بل إنهم يصرحون بلا خوف أو حياء بأن بعض مشاهدهم أفضل من بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا، وقد أكد مرجع الشيعة وشيخهم خميني وغيره من أقطابهم كمحمد حسين آل كاشف الغطاء، المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) أن كربلاء أشرف بقع الأرض بالضرورة، وقال بأنه قد شهد بذلك الكثير من الأخبار والآثار عندهم، ثم ترنم بالبيت التالي:

ومن حديث كربلاء والكعبة ... لكربلا بان علو الرتبة

أما حديث كربلاء والكعبة الذي يفتخر به مرجع الرافضة وإمامها فهي

---

(١) انظرها في ١٠/ ٢٥١ وما بعدها.

(٢) انظرها في المجلد الثاني ٨/ ١٩٣ وما بعدها.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ٢/ ٢٣٨ وما بعدها.

(٤) انظر: تهذيب الأحكام للطوسي ٦/ ٣ ـ ١١٦.

(٥) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢/ ٣١٦ ـ ٣٢٦.

أسطورة تقول: بأن محاورة جرت بين الكعبة وكربلاء فافتخرت الكعبة على كربلاء، فأوحى الله إليها (أي إلى الكعبة كما يفترون) أن كفي وقري ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولو لا من تتضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري، وكوني ذنبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»(١).

ولكن الكعبة لم تأخذ بالنصيحة كما تقول روايات الشيعة!! فلم تتواضع لأرض كربلاء وتصبح كالذنب الذليل المهين لها فحلت بها العقوبة، بل إن العقوبة ـ كما يقولون ـ وقعت على كل ماء وأرض ما عدا كربلاء، وقالوا في رواياتهم: «فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحًا حتى أفسد طعمه»(٢).

هذه منزلة بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا وأمر بتطهيره من رجس هؤلاء وأمثالهم، لقد بلغ الغيظ بهم مبلغه وهم يرون كتائب الموحدين تتجه إلى بيت الله الحرام وتعمر المشاعر المقدسة بالتلبية بالتوحيد، وتتجه إلى الواحد الأحد في حجها وصلواتها وأدعيتها وعباداتها، فغاظ ذلك هؤلاء المشركين أعداء ملة التوحيد وأعداء مقدسات المسلمين فطالبوا بإعلان البراءة من المشركين، وعلى رأسهم الحجاج والمعتمرون الرافعون لنداء التوحيد، وراموا صرف الناس عن البيت الله الحرام، لأن رمز الشرك عندهم هو بيت الله الحرام؛ ألا ترى أنهم جعلوه ذنبًا ذليلًا مهينًا لكربلاء، ألم تقف على ما

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٧٠، بحار الأنوار ١٠١/ ١٠٩.

(٢) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

فعله أوائلهم وسلفهم ببيت الله الحرام، حتى اقتلعوا الحجر الأسود، وقتلوا الحجاج والطائفين، وأجروا من دماء الزائرين لبيت الله أنهارًا، كما سجله المؤرخون في أحداث سنة ٣١٧هـ؟

أو ما سمعت بالشيعي الذي لطَّخ بيت الله وكعبة الله بالقاذورات، لأنه تغذى على موائد هؤلاء الزنادقة؟ ثم ألا تعجب من دعواهم من أن تقديسهم لأرض كربلاء لأنها ضمت جسد الحسين فاستمدت قداستها من وجوده فيها؟ لأنه يقال لهم: وإذا كان هذا الفضل قد تحقق بوجود جسد الحسين فلماذا لم تفضلوا المدينة وفيها جسد رسول الله ﷺ ؟ إن هذا يكشف لك أنه ليس الهدف تقديس الحسين ولكن الكيد للأمة ودينها.

ولقد خاب واضع هذه الأساطير وفشل في تحقيق أهدافه، فلم يتجه المسلمون إلى كربلاء، وظلت هذه الروايات لا تؤثر إلا بأولئك الذين أصمهم التعصب عن سماع الحق وأعمى قلوبهم فهاموا في أودية الضلال....

وما دام كتاب الله سبحانه يتلى بأيدي المسلمين فلن يغتروا بمثل هذه المؤامرات، إلا من اتخذ كتاب الله مهجورًا، ولم ير الحق إلا فيما قاله الحجة والسيد والآية وما وجد عليه قومه!!

***

المبحث الثاني:

من الأحق بالتبري؟

هذا هو الشرك بكل ظلماته قد طوَّق عنق الروافض، فيبدأ من مصادرهم الداعية لهذا الشرك الصراح الواضعة لأسسه المبينة لمعالمه الموضحة لمسالكه، مما يعد تأصيلًا لدين المشركين وتقعيدًا لملة الصابئة الكافرين، وذلك كله يُؤيد من شيوخهم ومراجعهم المعتبرين الذي يمدونهم بهذا الغي ولا يقرُّون.

وتذكي أوارها وتوسع دائرتها مآتمهم السنوية، وزياراتهم لمشاهدهم المستمرة، وأعيادهم المبتدعة.. إلى آخر سلاسل الضلال وأغلال الظلم..

ولذا نقول: وحق لمن كان هذا مذهبه، وجدير بمن تلك طريقته ومسلكه بل دينه ومعتقده، أن يعلن أهل التوحيد وورثة ملة إبراهيم الخليل وأتباع خاتم الأنبياء وأعظم الموحدين أن يعلنوا البراءة منهم ومن فعلهم وشركهم وتطبيق حكم الله ورسوله منهم: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ التوبة: ٣

وأن يُمنع من هذه حاله وهذا معتقده من الحج لقول رسول الله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»[(١)].

أما من استتر منهم وأظهر التوحيد وأخفى شركه فحكمه حكم المنافقين الذين يعاملون بظاهرهم، والحكم في هذه الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ١٠، والحج ٦٧، والجزية ١٦، والمغازي ٦٦. ومسلم في الحج ٤٣٥، وأبو داود في المناسك ٦٦، والترمذي في التفسير سورة ٩، والنسائي في الحج ١٦١، والدارمي في الصلاة ١٤٠، وأحمد في مسنده ١/ ٥٢، ٣/ ٢٩٩.

وأما من انتسب إليهم ولم يعتقد هذه العقائد الشركية ـ وقليل ما هم ـ فعليه إثم من كثر سواد البدعة.

وبعد هذا يحق لنا أن نقول بما قال به الشيخ محمد عبده لتلميذه رشيد رضا، بأن هذه الطائفة هي أحوج الفرق الإسلامية كلها للتقريب، أي لتقريبها إلى الحق وإنقاذها من التردي في ظلمة الباطل، ولكن محمد عبده خص تلميذه رشيد بحكم سري عليهم وطلب من تلميذه عدم البوح به، إلا أن رشيد أوضح عن مجمله فقال بأنه أشد من حكم شيخ الإسلام عليهم[(١)].

ولكني أقول: إن أردت حكم علماء الإسلام على هذه الطائفة فخذه من كلام أئمة وأعلام الأمة لتعلم من المستحق للبراءة. فلقد صرح بتكفيرهم الإمام مالك، وأحمد، والبخاري، وعبد الله بن إدريس، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأحمد بن يونس، وأبو زرعة الرازي، وابن قتيبة، وعبد القاهر البغدادي، والقاضي أبو يعلى، وابن حزم، والإسفراييني، وأبو حامد الغزالي، والقاضي عياض، والرازي، وابن تيمية، وابن كثير، وأبو حامد المقدسي، وأبو المحاسن يوصف الواسطي، وعلي القاري، ومحمد بن عبد الوهاب، وشاه عبد العزيز الدهلوي، وشيوخ وعلماء الدولة العثمانية، وعلماء ما وراء النهر[(٢)].

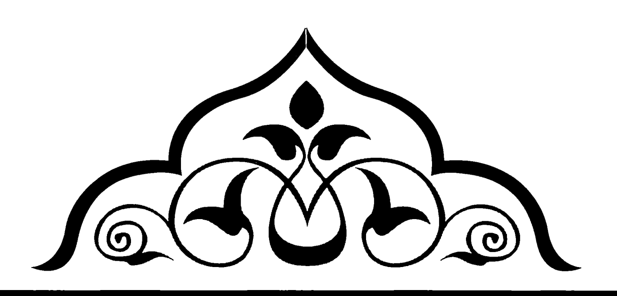
ونقل بعضهم الإجماع كالسمعاني، وملا علي القاري، والرازي، وابن تيمية وغيرهم، ولقد تعجب الشوكاني من ترك هذه الطائفة والتهاون معها مع ما هي عليه من منكر وكفر بواح[(٣)]!

---

(١) انظر: مجلة المنار.

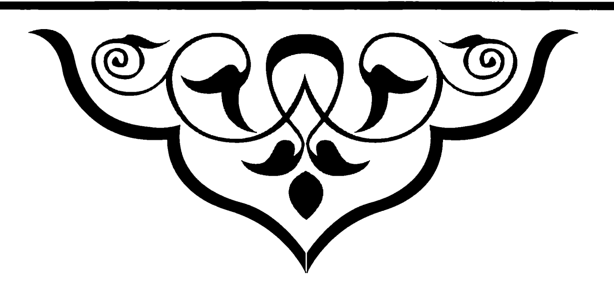
(٢) انظر تراجمهم ونصوص أقوالهم في أصول الشيعة ٣/ ١٢٥٠، وما بعدها.

(٣) انظر النصوص في ذلك في المصدر السابق.



الفصل الثامن

الخبيئة العجيبة والبيان الأخير في كشف السر الخطير في جذور البراءة الرافضية وأصولها



لعل من آيات الله سبحانه في كشف المفترين وفضح الكاذبين المتولين على الله ودينه وشرعه كشفهم بألسنتهم، وظهور باطلهم بأقوالهم وأفعالهم، فلقد وقفت على نص مهم وخطير وهو مسجل في أمهات كتب الشيعة، وفي مقدمتها رجال الكشي أهم كتبهم في الرجال، وبحار الأنوار المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب ـ كما يقولون ـ وكتاب المقالات والفرق للقمي، وفرق الشيعة للنوبختي، وهما المرجعان الوحيدان الباقيان من كتبهم في الفرق والمقالات ـ وفق قولهم ـ هذا النص يقرر بكل صراحة ووضوح أن «براءة الروافض» صناعة يهودية تلمودية، وأن ابن سبأ اليهودي هو أول من أظهر البراءة[1].

فلنستمع إلى شيوخهم يتحدثون عن هذه الحقيقة، فالشيعي سعد بن عبد الله القمي ـ شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها كما ينعته النجاشي[2] ـ يقر بأن ابن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا رضي الله عنه أمره بذلك، ويذكر القمي أن عليًا بلغه ذلك فأمر بقتله، ثم ترك ذلك واكتفى بنفيه إلى المدائن[3].

كما ينقل القمي عن جماعة من أهل العلم ـ كما يصفهم ـ بأن ابن سبأ «هو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٧.

(٢) رجال النجاشي ص ١٢٦.

(٣) المقالات والفرق ص ٢٠.

أعدائه وكفرهم»[١]، وأن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا، وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي بمثل ذلك...، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية[٢].

هذا ما يقوله القمي وينقله عن أهل العلم من مذهبه، وللقمي مقامه عندهم، فهو كما يصفونه ثقة واسع المعرفة بالأخبار[٣]، ومعلوماته عندهم مهمة نظرًا لقدم فترتها الزمنية[٤]، ولأنه قد تحقق له اللقاء بالمعصوم ـ في نظرهم ـ وسمع منه وهو إمامهم الحادي عشر (الحسن العسكري)[٥].

كما وردت هذه المعلومات عن أمر البراءة وأصلها اليهودي بنفس المعاني والألفاظ أيضًا عند شيخهم الآخر النوبختي، وهو ثقة معتمد عندهم[٦] وذلك في كتابه فرق الشيعة (الذي يكاد أن يكون صورة طبق الأصل لكتاب القمي).

ثم يأتي شيخهم الكشي ـ وهو عندهم ثقة بصير بالأخبار وبالرجال[٧] ـ ليقرر هذه الحقيقة وينسبها لأهل العلم من أهل ملته، فيقول في كتابه المعروف: رجال الكشي (والذي هو من أقدم كتبهم المعتمدة لديهم في الرجال) يقول: «ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠.

(٣) الفهرست للطوسي ص ١٧١.

(٤) توفي سنة (٢٩٩ ـ ٣٠١هـ).

(٥) انظر: إكمال الدين لابن بابويه ص ٤٢٥ ـ ٤٣٥.

(٦) انظر: توثيقهم له وثناؤهم عليه في الفهرست للطوسي ص ٧٥، وجامع الرواة للأردبيلي ١/ ٢٨٨، والكنى والألقاب للقمي ١/ ١٤٨، ومقتبس الأثر للحائري ١٦/ ١٢٥.

(٧) انظر: الفهرس للطوسي ص ١٧١.

ووالى عليًا، وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي رضي الله عنه مثل ذلك وكان أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية»[(١)].

هذه مقالة الكشي وهي تتفق مع كلام القمي والنوبختي، وكلهم يوثقون قولهم هذا بنسبته إلى أهل العلم، ويشاركهم في ذلك شيخ الطائفة الطوسي صاحب كتابين من كتبهم الأربعة في الرواية، وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة في الرجال حيث يوافق الكشي في مقالته[(٢)].

هذه البراءة الرافضية ولدت في أحضان اليهودية السبئية من نسل أفعاها ابن سبأ كما تقرر كتب الشيعة ذاتها.

ثم تلقفت هذه العقيدة من السبئية طائفة الخطَّابية[(٣)]، المعروفة في الغلو

---

(١) رجال الكشي ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) حيث قام الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة بتهذيب كتاب «رجال الكشي» وهو المتداول اليوم بينهم، ذلك أن الأصل مفقود كما يقولون.

(٣) هم أتباع أبي الخطاب بن مقلاص بن راشد المنقري الأجدع الكوفي، من غلاة الروافض، قتل بسبب غلوه سنة (١٤٣هـ)، وكذلك قتل جماعة من أتباعه، وذكر الأشعري أن الخطابية خمس فرق، نُسب لأبي الخطاب تأليه الأئمة ودعوى النبوة.
انظر في خبره وطائفته:
مقالات الإسلاميين ١/ ٥٧ ـ ٨١، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٥، الفرق بين الفرق ص ١٥٠ ـ ١٥٥، التبصير في الدين ص ٧٣ ـ ٧٤، الفصل ٤/ ١٧٨، الخطط للمقريزي ٢/ ٣٥٢، البدء والتاريخ ٥/ ١٣١.
وانظر من مصادر الشيعة: المقالات والفرق ص ٥٠، ٥٦، ٨١، ٨٥، فرق الشيعة ص٤٢، ٤٣، ٦٩، ٧١، رجال الكشي ص٢٤٦ ـ ٢٦٠.

في مقاييس الاثني عشرية نفسها، والملعون زعيمهم على لسان الأئمة بروايات الاثني عشرية ذاته، حيث تؤكد مصادرهم أن هذه البراءة تلقتها وأذاعتها بعد السبئية الخطابية[(١)].

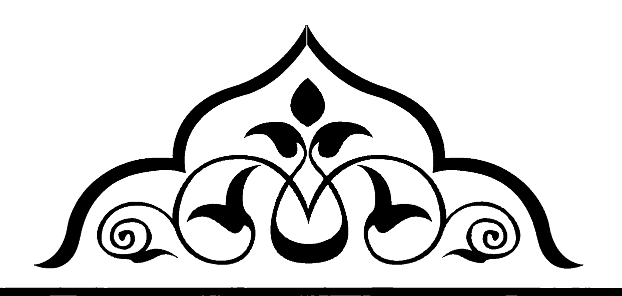
وحين تخمد شرارة هذه الفتنة المغرقة في الضلالة المفرقة للأمة العازلة للشيعة عن أسباب الهداية يأتي شيخ أسود القلب والقالب فيبعثها من جديد فيذكر المجلسي أن هذه البراءة قد توارت في الحلة وأرض العراق (منطلق الرفض ومهده) حتى أشعل شرارتها شيخهم باقر القزويني[(٢)].

وهم في هذه الضلالة ـ كما أنهم مخالفون للقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة ـ فإنهم مفارقون لهدي أمير المؤمنين علي ﷺ، بإقرارهم وفيما ينقلون في المعتمد من كتبهم فقد جاء في نهج البلاغة والذي يقدسون كل حرف فيه وغيره من كتبهم، قالوا: «خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فقال لهما علي: كرهت لكم أن تكونوا لعانين سبابين وتتبرءون، ولكن لو وصفتم فساد أعمالهم، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، كان هذا أحب إليَّ وخيرًا لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك ونتأدب بأدبك».

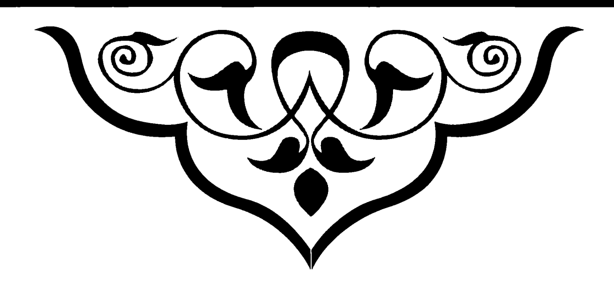
***

(١) انظر: بحار الأنوار ٤٧/ ١١١.

(٢) المصدر السابق ٥٣/ ٢٩١.



ملحق لفتاوى وآراء بعض علماء ومفكري العصر في «البراءة»



(١) هذه الفتاوى سائرة على أن المراد (بالبراءة) البراءة من المشركين الحقيقيين، وهي حق ولكن إعلانها في الحج بدعة، ولكن البراءة بحسب التحقيق الذي ضم صفحاته هذا البحث وهو البراءة من أهل السنة واعتقادهم... إلخ. هذه البراءة باطل وكفر ومن تبرأ من أهل السنة فهو كافر، [هذه السطور تنبيه مهم لأحد كبار العلماء في العالم الإسلامي بعد قراءة لهذا البحث...].

وإنما أثبتناها هنا كشاهد لما ذكرناه في المقدمة، ولجمع أهم ما ذكره أهل العلم في موضوع البراءة الشرعية لا البراءة الرافضية.

(١)

فتوى للإمام سماحة المفتي العام للملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

أوجب الله على عباده المؤمنين البراءة من المشركين في كل وقت، وأنزل في ذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الممتحنة: ٤.

وأنزل في ذلك سبحانه في آخر حياة النبي ﷺ قوله عز وجل: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ التوبة: ١ الآيات.

وصحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه بعث الصديق رضي الله عنه عام تسع من الهجرة يقيم للناس حجهم ويعلن البراءة من المشركين، ثم أتبعه بعلي رضي الله عنه ليبلغ الناس ذلك، وبعث الصديق رضي الله عنه مؤذنين مع علي رضي الله عنه ينادون في الناس بكلمات أربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فله أربعة أشهر يسيح في الأرض كما قال عز وجل: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ التوبة: ٢ الآية.

وبعدها أمر النبي ﷺ بقتال المشركين إذا لم يسلموا، كما قال الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التوبة: ٥، يعني الأربعة التي

أجَّلها لهم عليه الصلاة والسلام في أصح قولي أهل العلم في تفسير الأشهر المذكورة في هذه الآية: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ التوبة: ٥.

هذا هو المشروع في أمر البراءة، وهو الذي أوضحته الأحاديث عن النبي ﷺ وبينه علماء التفسير في أول تفسير سورة براءة «التوبة».

أما القيام بالمسيرات والمظاهرات في موسم الحج في مكةالمكرمة أو غيرها لإعلان البراءة من المشركين، فذلك بدعة لا أصل لها، ويترتب عليه فساد كبير وشر عظيم، فالواجب على كل من كان يفعله تركه، والواجب على الدولة وفقها الله منعه، لكونه بدعة لا أساس لها في الشرع المطهر، ولما يترتب على ذلك من أنواع الفساد والشر والأذى للحجيج وغيرهم، والله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ آل عمران: ٣١ الآية. ولم يكن هذا العمل من سيرته عليه الصلاة والسام ولا من سيرة أصحابه رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى: ٢١، وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الحشر: ٧، وقال الرسول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، متفق على صحته، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه في خطبة الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، أخرجه مسلم في صحيحه، وقال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أخرجه مسلم أيضًا، وقال ﷺفي حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم»، ولم يفعل ﷺ مسيرات ولا مظاهرات، وهكذا أصحابه بعده رضي الله عنهم، فيكون إحداث ذلك في موسم الحج من البدع في

الدين التي حذر منها النبي ﷺ، وإنما الذي فعله عليه الصلاة والسلام بعد نزول سورة التوبة هو بعث المنادين في عام تسع من الهجرة ليبلغوا الناس أنه لا يحج بعد هذا العام ـ يعني عام تسع ـ مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، مع نبذ العهود التي للمشركين بعد أربعة أشهر إلا من كان له عهد أكثر من ذلك فهو إلى مدته، ولم يفعل ﷺ هذا التأذين في حجة الوداع لحصول المقصود بما أمر به من التأذين في عام تسع، والخير كله والسعادة في الدنيا والآخرة في اتباع النبي ﷺ والسير على سنته، وسلوك مسلك أصحابه رضي الله عنهم، لأنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وأتباعهم بإحسان، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ التوبة: ١٠٠.

والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين والسير على منهج سيد المرسلين وأصحابه المرضيين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان ومن البدع في الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه[(١)].

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) في ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م، وجريدة الشرق الأوسط العدد (٦٧٠١) في ٣/ ٤/ ١٩٩٧م.

جواب خاص من رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية وأحد كبار علمائها سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان[(١)]

يقول الشيخ صالح:

«مسألة البراءة أمر الرسول ﷺ بها في السنة التاسعة وحج في السنة العاشرة ولم يعلنها، فهي فعلت مرة واحدة لتطهير مكة من الشرك ولإشعار عموم الناس ألا يحج بعد العام مشرك.

أما عند الشيعة فقد بدأ الاهتمام بإعلانها مع الثورة الإيرانية، ولم تقم الشيعة بمثل هذه المحاول طيلة تاريخها الماضي حتى في العهد الصفوي المظلم، ومرد هذا الاهتمام أهداف سياسية صرفة ولا تنطلق من منطلقات عقائدية»[(٢)].

---

(١) وهي إجابة تفضل بها سماحته حول سؤال للمؤلف عن البراءة عند الروافض.

(٢) وأُضيف: أن ابتداء اهتمام الروافض بإعلان البراءة مرتبط بقضية عقدية سياسية جديدة وهي القول بعموم ولاية الفقيه، والتي بدأ تطبيقها عند الرافضة ولأول مرة في تاريخها في هذا العصر.

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف[(١)]

بقي أمر البراءة من المشركين... التي يتمسك بإعلانها الحجاج الإيرانيون في هذه الأيام، فهل تدخل في الممنوع أو في المشروع؟

لقد استعرضنا فيما سبق بعض النصوص من كتب مذهب الإمامية فلم نجد فيها أية إشارة إلى أنه هذا من الذكر الذي أوجبه الله في مناسك الحج وفي حرمه، بل وجدنا تحديدًا دقيقًا لما يجب أن يذكر الله به، والنهي حتى عن شتم الخادم، ثم هل يحج المشركون البيت ويطوفون به حتى يسمعوا هذه البراءة ويشاهدوا هذه المسيرة أو المسيرات؟ اللهم لا، فقد حرم الله أن يقرب المشركون المسجد الحرام.. أو أن يحجوا البيت منذ إعلانهم بما نزل من القرآن في هذا الشأن، في أواخر سنة تسع من الهجرة.

وكان عهد رسول الله ﷺ بهذا الإبلاغ للناس في موسم الحج إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث خطب الناس عند جمرة العقبة وغيرها من مواقع تجمع الحجاج وقال: «أيها الناس إني رسول الله إليكم بألا يدخل البيت كافر، ولا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى مدته، ومن لا عهد له فله أربعة أشهر». وتلا عليهم ثلاث عشرة آية من سورة براءة. وهذا القدر متفق عليه بين علماء المذاهب الإسلامية جميعًا، لأنه مضمون نص القرآن.

وواضح أن هذا البلاغ وذلك الأذان بهذه المنهيات ليست من مناسك الحج في كل عام، ومنذ إبلاغها للناس في ميقاتها نفذت ولم يعد أحد يتنادى

---

(١) من كتاب: قدسية الحرمين الشريفين في القرآن والصفة والفقه الإسلامي.

بها، وإلا لو كا نت هذه البراءة من المشركين من مناسك الحج لنقلت إلينا ولتحدثت كتب السيرة والسنة والتاريخ عنها.

ثم ألم يقل الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١، ومن معاني الفتنة في اللغة الصد عن الدين.. وهذه المسيرات في الحرم صد عن دين الله وعبادته، وشغل للحجاج والمعتمرين عن الانصراف والاستغراق فيما قصدوا إليه من عبادة الله في حرمه.

ألا: إن البراءة من المشركين والمفسدين ومن الصادين عن ذكر الله وعن الصلاة ينبغي ألا تكون بمسيرات في حرم الله، وقوفًا عند قول الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة: ٢٠٠

(٤)

الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية[١]

الحج عبادة عظيمة يقصد به وجه الله وتعظيم شعائره، لم يشرع لأجل المظاهر السياسية والمفاخرة بالرؤساء والزعماء كما كانت الجاهلية تفعل من الإشادة بمفاخرها وإبراز زعمائها وشعاراتها، فمن يحاول الآن أن يحول الحج إلى دعايات حزبية ومكاسب سياسية فهو يريد إحياء سنة الجاهلية، والبراءة من المشركين واجبة في كل وقت ولم تخصص في موسم الحج، وإنما أمر بها النبي ﷺ مرة واحدة لمهمة خاصة انتهت في وقتها وهي منع المشركين من الحج ومن أن يقربوا المسجد الحرام ويظهروا شعاراتهم فيه، ولم يشرع هذا في الحج بصفة دائمة، ولم يفعله الخلفاء الراشدون ولا القرون المفضلة ومن جاء بعدهم من ولاة أمر المسلمين، فلو كان مشروعًا في الحج أو كان منسكًا من مناسكه لم يتركوه، فالبراءة من المشركين واجبة بصفة دائمة لكنها ليست من مناسك الحج وأعماله، فمن أراد زيادتها في أعمال الحج فقد أحدث في الدين ما ليس منه، وقال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

(٥)

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ نائب المفتي العام لشئون الإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية(١)

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧.

الحاج المسلم إذا أتى بيت الله الحرام يكون ملتزمًا بآداب الإسلام، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال، وإنما هي عبادة الله وإخلاص الدين لله والاشتغال بما ينفعه ويعود عليه بالنفع من أداء شعائر العمرة طوافًا وسعيًا، أو أداء شعائر الحج، وأما إشغال نفسه باتخاذ الحج سبيلًا لدعوات يروجها، وأباطيل وشعارات يرفعها وصور أشخاص يعظمها ويدعي أنه بذلك يتبرأ من الشرك والمشركين، فهذه دعاية باطلة، وحجة ضالة، فالواجب على المسلم تقوى الله، وألا يكون هدفه في الحج سوى ما يتقرب به إلى الله من أداء النسك، وما بين ذلك من ذكر لله وتعظيم لله، ودعوة لهم إلى تألف القلوب واجتماع الكلمة، وأما هذه الشعارات وتعظيم بعض الأشخاص فكل هذه أمور تخالف شرع الله، ولقد كان العرب في جاهليتهم يتخذون من الحج منابر للإشادة بأحسابهم وأنسابهم والطعن في الآخرين فأنزل الله ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة: ٢٠٠.

إن المسلم معظم لبيت الله معظم لشعائر الله لا يستغل الأوقات الفاضلة في تلك الترهات والأباطيل، إن البراءة من المشركين لا تكون بالدعايات

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

ولكنها بالبعد عنهم وعن منهجهم والبراءة من أخلاقهم وأعمالهم، وأما مجرد هذه الشعارات فإنها أشياء جاهلية مخالفة لما عليه رسول الله ﷺ وما عليه الخلفاء الراشدون والمسلمون قديمًا وحديثًا، فلم يكن لدى المسلمين تلك الشعارات، بل كان عندهم دعوة إلى الله وإرشاد للخير وسعي في جمع كلمة الأمة ولم شملها، هذا خلق المسلمين فالحج إنما شرع ليزداد المسلمون تآلفًا وارتباطًا ومحبة كما قال: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ الحج: ٢٨.

فمن تلك المنافع تآلف قلوبهم واجتماع كلمتهم وتوحيد صفهم، فتلك الشعارات تفرق شملهم وتوجد الفرقة والبغضاء بينهم، وهذا أمر مرفوض في شريعة الله.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

(٦)

الشيخ عبد الله الجبرين
عضو الإفتاء في المملكة العربية السعودية[1]

على الحاج أن يخلص في عمله وتكون نيته إرادة الله والدار الآخرة، ويبتعد عن مثل هذه الشعارات التي تمثل الدولة أو الرئيس أو الطائفة أو النحلة والمذهب والمعتقد، فإن ذلك ينافي إخلاص العمل، وصيرورة الحج عملًا أخرويًا يراد من ورائه الثواب والأجر ومغفرة الذنوب، فإن أهل هذه الشعارات والصور التي تمثل شخصًا معينًا ممجدًا عند أولئك الأفراد قد أفسدوا عملهم وأحبطوا ثواب حجهم ومناسكهم، حيث أصبح قصدهم الأكبر الدعاية والتشهير بذلك الشخص الذي ينشرون صورته ويسيرون خلفها زرافات ووحدانا، وكذا التكتل ورفع الأصوات بهذه النداءات زاعمين أن ذلك براءة من المشركين؛ لاعتقادهم أن من خالفهم في الاعتقاد فهو مشرك كافر، وأن الأنساك إنما تكمل وتقبل بهذه البراءة المبتدعة، وذلك جهل كبير وبعد عن الصواب، حيث لم يفعل هذا الأمر في حجة الوداع، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا في القرون المفضلة، ولم ينقل استحبابه عن السلف الصالح أو أحد من الأئمة المقتدى بهم الذين هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، فعلى هذا يجب إنكار هذه الشعارات، والأخذ على أيدي هؤلاء المبتدعة ومنعهم من هذه الأصوات، والاقتصار على السنة النبوية في هذه المشاعر، وعلى ما نقل وثبت عن النبي ﷺ الذي علم أمته العبادات، وقال لهم: «خذوا عني مناسككم».

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

(٧)
فتاوى علماء الأزهر الشريف
د. إسماعيل الدفتار
أستاذ الحديث بكلية أصول الدين[١]

الحج من شعائر الإسلام التي يجب أن تعظم كما أرشدنا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ الحج: ٣٢.

فيجب احترام هذه الشعيرة بالمحافظة على مناسكها وعلى كل موقف فيها، بل وعلى الذين يقومون بأدائها؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ﴾ المائدة: ٢.

وواضح من هذه الآية النهي والتحذير عن فعل أو قول أي شيء يؤدي إلى الإساءة إلى زمان هذه الشعيرة ـ وهو الشهر الحرام ـ بل ما يؤدي إلى الإساءة أو العدوان على الحيوان الذي يقدم «هديًا» إلى الله، إن الآية تنهى عن الأسلحة والعدوان بالعلامات التي يميز بها الهدي حتى يكون معروفًا أمام الناس.

ثم ذكرت الآية في نهيها وتحذيرها عن الإساءة والعدوان بأي صورة من الصور، ذكرت ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ المائدة: ٢ أي القاصدين إليه، ومن هنا فإن إحداث أي شيء في المشاعر والمواقف التي يكون الناس فيها متوجهين للعبادة والتقرب إلى الله من شأنه أن يثير الاضطراب والقلق، أو يشوش على

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

مسار الحجاج والعمار، سواء كان قولًا أو فعلًا ـ فإنه يجب الابتعاد عنه والحذر منه، وإلا كان من يفعل ذلك مرتكبًا لتلك المحظورات التي حذرت منها الآية الكريمة التي سبق ذكرها.

د. رزق سيد رزق الطويل
الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر(١)

يقول: لا ينبغي للحاج أن يعلو صوته بذكر إنسان كائنًا من كان، ولا بد للحاج إذا رفع صوته أن يكون للذكر والتلبية؛ لأن رب العالمين أوصى الحجاج بذكره في ٦ مرات في آيات الحج في سورة البقرة، ومطلوب من الحاج أن يكون على لسانه ذكر الله إذا صعد مرتفعًا أو هبط واديًا، أم مرَّ بجمع من الناس، وأي رفع للصوت لهدف سياسي أو دنيوي هو قبيل الإلحاد بالحرم، والذي يقول الله فيه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ الحج: ٢٥.

وكان عبد الله بن عمر ﷺ إذا خاصم زوجته عند الحرم خرج بها إلى الحل وسألوه في ذلك فأجاب بهذه الآية السابقة. وإذا كان ذلك في علاقة الزوج بزوجته، فما بالك بالعلاقات بين الناس، ولذلك ينبغي على الحجاج أن يتجنبوا هذه المماراة وإذا حدثت أمامهم فعليهم أن يؤدوا عليها بالتلبية.

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

د. صبري عبد الرءوف
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر(١)

يقول: إن أخلاق المسلم في الحج تبينها الآية الكريمة: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ البقرة: ١٩٧.

فعلى الحاج أن يشغل نفسه بطاعة الله، وأن يبتعد عن القيل والقال ورفع الشعارات المعادية من أجل التشهير بالآخرين؛ لأن هذا يتنافى مع الغرض الأسمى للحج؛ لأن هذا الموسم هو درس عملي في النظام ووحدة الأمة وتآلفها في هذا المكان الطيب الذي لا ينبغي أن يسمع فيه إلا صوت التلبية، فعليهم ألا يشاركوا في ذلك حتى لا يقعوا في الإثم.

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

د. محمد عبد الستار نصار[1]
رئيس قسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

يقول: الفروض الشرعية ينبغي أن تؤدى بإخلاص دون غرض آخر، إلا إذا كان ذلك الغرض يخدم مقاصد الشريعة الإسلامية.

أما أن يكون هناك أغراض تتنافى مع الشريعة الإسلامية فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٦.

فالآية تتطلب أن يتم المسلمون الشعائر لله لا لغرض سواه. فاستغلال هذا الموسم لا يجوز، لأنه يتنافى مع الغرض الأساسي للفريضة وهو الإخلاص لله.

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

د. صالح بن غانم السدلان
الأستاذ بالدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض[١]

قال: الحج عبادة شرعها الله سبحانه وتعالى وجعلها ركنًا من أركان الإسلام، وكل عبادة لها شعار، ولا يجوز لأي مخلوق أيًا كان مهما كان لديه من المبررات أن يجعل شعارات للحج غير ما شرع الله سبحانه وتعالى، وشعار الحج الإحرام: لبس الإزار والرداء للرجال، شعار الحج التجرد من المخيط، شعار الحج الإضحاء لله جل وعلا بكشف الرأس وعدم تغطيته، شعار الحج التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، الحج هو طواف وسعي ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ورمي الجمار، والنبي ﷺ علم أصحابه ذلك وقال: «خذوا عني مناسككم».

وحج النبي ﷺ في حجة الوداع ولم يكن هناك بلاد مسلمة إلا العواصم الثلاث: مكة والمدينة والطائف وأطراف من نجد وأطراف من جهات الشام وقبائل من اليمن، والكفار في ذلك اليوم فارس والروم أعظم دولتين في ذلك الزمن يكيدون للإسلام وللمسلمين ويقاومونه ويعادونه ولا يرضون بشيء سوى القضاء عليه، فالنصارى لا يريدون إلا النصرانية، واليهود لا يريدون إلا اليهودية، والوثنيون لا يريدون إلا الوثنية، وهكذا كل طوائف الأرض على هذا. عدد المسلمين في زماننا هذا أضعاف المسلمين في حجة الوداع والكفار في أيام حجة الوداع أضعاف الكفار في هذا الزمان، فالمسلمون يوجدون في

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

بلاد الكفار ويصلون ويبنون المساجد ويقيمون شعائر الإسلام في بلاد الكفار والأقليات وغيرها، ومع هذا كله لم يدع النبي ﷺ إلى اتخاذ أي شعائر غير ما شرع الله ولم يأمر بأي شعار سوى ما شرع الله جل وعلا، لم يأمر أصحابه ولم يفعل ذلك، هذا هو شرع الله ودينه، والذي لا يسعه ما وسعه هذه الدين وما وسعه هدي سيد الأنبياء والمرسلين فلا وسعته الدنيا ولا بارك الله في أعماله، والشعارات التي ربما يوجد من بعض الفئات من يدعو إليه، وهؤلاء على صنفين: إما جهلة مغرر بهم، وإما أناس لهم دوافع وإغراض وأهداف وليست مكة محلًا لرفع الشعارات.

لا يزالون في غيهم يعمهون

ومع ذلك كله فلا يزالون ينادون «بالبراءة» ففي حج هذا العام ١٤١٧هـ وقع بيدي منشور لهم أسموه «نهج العزة» وقالوا بأنه «نداء الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية إلى حجاج بيت الله الحرام».

ومما جاء فيه: «وهل يبقى مع كل هذا لمسلم شك في هذه المقولة الحكيمة: (الحج دونما براءة ليس بحج).».

وقولهم: «.. وهنا يتجلى المعنى الحقيقي لنداء البراءة من المشركين في الحج، وهكذا يؤدي رفع الصوت الجماعي بالبراءة من المشركين إلى بعث الروح والمضمون في الحج»(١).

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٦٣٦) الجمعة ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

تنسيق وإخراج وتنفيذ طباعي الدولية للتعهدات الطباعية ـ سمير الماضي ـ جوال ٠٠٩٦٦٥٩٥٦٢٩٥٠٤